

كتاب
البرهان المؤيد
للإمام أحمد الرفاعي الكبير
رضي الله عنه
512-578 هجرية

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين ، سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، ونفعنا الله بهم ، وهدانا للسير على خطاهم في درب سُنَّةِ جَدِّهِمْ ، وجعلنا ممن يَعُضُّونَ عليها بالنواجز وعنهما لا نخيد ، حتى نلقى الله على خير يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

هذا الكتاب - كتاب البرهان المؤيد - هو منهاج وطريقة الإمام الأكبر ، سيدي أحمد الرفاعي رضي الله عنه ، في الاقبال على الله ، وعلى كل مريد لهذا الإمام أن يتسلح بما جاء في هذا الكتاب ، حتى لا تزلَّ قدمه في السعي نحو الرحاب الأعلى ، خاصة وتيارات التصوف متباينة المباني والمسالك ، والطريق إلى الرحاب الأعلى به الصعود والهبوط ، وبه الأرض المنبسطة السهلة الخضراء اليانعة ، والصحراء القاحلة الوعرة الموحشة ، ويسافر مع السالك فيها أعوانه وخصومه علي حد سواء ، والوصول فيه لمن وفق الله وأعان ، وهنا تكمن الحاجة إلى الشيخ المربي والدليل ، لإقالة العثرات واختصار الطريق ، وللوصول من أقرب الدروب وأسهل السبل ، والله الموفق والمستعان.

منذ نعومة أظفاري وأنا أعيش مع هذا الكتاب ، وعلى هديه أسير ، وقد وجدت أن طبعات الكتاب المختلفة ، سواء منها ما هو موجود على المواقع الإلكترونية أو ما هو مطبوع ويتم تداوله في الأسواق ، مليئةٌ بالأخطاء المطبعية التي قد تغير الجوهر المراد من النص الذي قصده هذا الشيخ العظيم. فتوكلت على الله واستعنت به في محاولة تصحيح هذه الأخطاء المطبعية ، وإكمال العبارات الناقصة في بعض إصدارات هذا الكتاب ما أمكن بالاستعانة بالطبعات المختلفة وسياق النص وفهمي المتواضع لمنهاج هذا الإمام الكبير - داعيا الله أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه ، وأن يتقبله منا وأن ينفع به الإخوان الذين ينهجون نهج هذا الإمام العظيم في سعيهم إلى الله ، وكل الإخوان على اختلاف طرائقهم ومشاربهم الصوفية ، وعموم المسلمين ، مشدداً على نصح الإمام رضي الله عنه لكل سالك بآلاً يحيد عن طريق السلف الصالح رضوان الله عليهم ، في إتباع سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

والمصادر التي اعتمدنا عليها في مراجعة هذا الكتاب هي:

١ - طبعة مطبعة الظاهر في القاهرة سنة ١٣٢٢ هجرية وهي طبعة فريدة لكتاب البرهان المؤيد وقد وجدناها في مكتبة جدنا الشيخ حسن محمد علي جامع الرفاعي وعلي هامشها كتاب (النظام الخاص لأهل الاختصاص) للإمام الرفاعي رضي الله عنه ونفعنا به، والكتابان سوف يتم وضعهم ، بعد تحقيقهم وتدقيقهم، علي موقع الطريقة هذا للنفع العام، وعلي الله قصد السبيل.

٢ - طبعة مكتبة المعارف - بيروت - سنة ٢٠٠١ م تحقيق الأستاذ محمد عمر ربحاوي.

٣ - طبعة دار الشعب سنة ١٣٩١ هجرية/ ١٩٧١ م والتي حققها الأستاذ صلاح عزام.

٤ - النسخ الموجودة على المواقع الإلكترونية للسادة الرفاعية الكرام.

هذا وأود أن أنوه إلى أننا في بعض المواضع قد قمنا بعمل بعض التغييرات اللفظية المحدودة حتى يستقيم معنى الجملة مع منهاج الشيخ رضي الله عنه وقمنا بالإشارة إلى ذلك في صفحات الكتاب المعنية. وقد قمنا بوضع التشكيل على بعض الكلمات حتى يتبين للقارئ المعنى المقصود بسهولة ويسر.

هذا ولا يفوتني أن أسأل الله عز وجل وأن أدعوه بكل ما إذا به سُئِلَ أجاب، أن يغفر لشيخى وأستاذي، الشيخ علي حسن محمد علي جامع الرفاعي، وأن يقدر روحه وأن يفيض عليه من أنواره ورضوانه، فهو صاحب الفضل عليّ بعد الله فيما أنا فيه من حب لله ولرسوله، فلقد كان رفيقاً بي في كل ما علمني، آخذاً بيدي وبهدأ أقراني بسلسلة ويسر ورحمة، حتي صار الصعب علينا سهلاً، وبعيد المنال قريباً، والمستحيل علينا ممكناً ويسيراً، ووالله ما تَرَكْنَا حتى كنا نسمع الكلام فنقول هذا من كلام الإمام أو ليس منه، ومهما قلت فلن أُوفِيَهُ حقه، وأدعو الله بمثل ذلك وفوق ذلك لجدي الشيخ الكبير منارة الطريق وملاذ الجميع ومظلة الكل، الشيخ العالم العابد الزاهد الفاني في حب الحضرة، الشيخ حسن محمد علي جامع الرفاعي هو وأبنائه وآبائه وأجداده وأتباعه ومريديه ولوالديّ ولأهل الطريقة وللسلسلة الرفاعية الغراء والمسلمين أجمعين، وسوف يشمل هذا

الموقع علي مختصرٍ للسيرة الذاتية لما تيسر من أبناء الجد الأكبر ، سيدي محمد جامع الفضلين الرفاعي الدنوشري رضوان الله عليه ، يلقي الضوء علي حياتهم وسلوكهم رضي الله عنهم أجمعين ، إذا ما أعان الله على ذلك ومدّ في الأعمار وأطال لبلوغ هذا الغرض ، والله الموفق والمستعان ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

د. سعد عبدالعزيز غنيم وأولاده

القاهرة في ٢٧ رمضان سنة ١٤٣٢ هجرية / ٢٧ أغسطس ٢٠١١ م.

مقدمة الكتاب للشيخ شرف الدين عبد السميع الهاشمي الواسطي الرفاعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا يوافي نعمه ، ويكافئ مزيده ، والصلاة والسلام على الدرة النبوية الفريدة، روح جسم الوجود ، وعلة كل موجود ، سيدنا ومولانا ، وقرة عيوننا ونبينا الرسول المكرم ، حبيب الرحمن محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وأصحابه ، وعترته وأحبابه ، وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين ، آمين آمين.

أما بعد ،

فيقول العبد الفقير الي رحمة الله ، شرف الدين بن عبد السميع الهاشمي الواسطي كان الله له ، وغفر بفضله ذنبه وزلله ، قد تلقينا من جم غفير من الحبين ، والإخوان الصالحين هذا الكتاب المبارك ، رواية من فم شيخنا وملجئنا بركة الاسلام ، وأستاذ الخواص والعوام ، القطب الغوث المقدم ، الذي امتازه الله على أوليائه بتقبيل يد النبي صلى الله عليه وسلم ، صاحب الأيادي الجليلة ، والخوارق الجزيلة ، حامل الخفيفة والثقيلة ، سيدنا الشيخ الكبير السيد أحمد ، ابن السيد أبي الحسن علي الرفاعي رضي الله عنه ، ابن السيد يحيى ، ابن السيد الثابت ، ابن السيد الحازم ، ابن السيد أحمد ابن السيد علي ، ابن السيد أبي المكارم الحسن المعروف برفاعة المكي ، ابن السيد المهدي ، ابن السيد محمد أبي

القاسم ، ابن السيد الحسن ، ابن السيد الحسين ، ابن السيد أحمد ، ابن السيد موسى الثاني ، ابن الإمام ابراهيم المرتضي ، ابن الامام موسى الكاظم. ابن الإمام جعفر الصادق ، ابن الإمام محمد الباقر ، ابن الإمام علي زين العابدين ، ابن إمام المسلمين، وزبدة آل النبي الأمين ، الذي امْتَحِنَ بأنواع البلاء ، أمير المؤمنين أبي عبدالله الإمام الحسين ، الشهيد بكربلاء ، ابن سيد الأمة وسند الأئمة ، زوج البتول وصهر الرسول ، الذي قدره كاسمه حسن وعلي ، أمير المؤمنين أبي الحسنين الإمام علي رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

وكان ذلك سنة ست وخمسين وخمسمائة ، السنة التي عاد بها من سفر حجه المبارك قَدَّسَ الله أسرارَه ، وضاعف إرشاده وأنواره ، في رباطه الشريف بأم عبيدة على كرسي وعظه في مجالس معدودة ، جمعناها في هذا الجزء وسميناه " البرهان المؤيد لصاحب مد اليد " مولانا الغوث الشريف الرفاعي أحمد ، وها هي كما تلقيناها منه رضي الله عنه.

قال نفعنا الله به:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يرضاه لذاته ، والصلاة والسلام على سيد مخلوقاته ، ورضي الله عن الصحابة والآل ، وأتباعهم من أهل الشرع والحال ، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

أي سادة

الزهد أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل ، وأساسه التقوى وهي خوف الله، رأس الحكمة وجماع كل ذلك حسن متابعة إمام الأرواح والأشباح ، السيد المكرم ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأول طريق المتابعة حسن القدوة ، عملاً بحديث (إنما الأعمال بالنيات)، ألا ترون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قال لرجل ، قال له يا رسول الله : رجل يريد الجهاد وهو يبتغي عرضاً من الدنيا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أجر له ، فأعظم ذلك الناس فقالوا للرجل : عد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلعلك لم تفهمه ، فقال الرجل يا رسول الله ، رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو

يريد عرض الدنيا ، فقال : لا أجر له ، فأعظم ذلك الناس وقالوا عد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الثالثة: رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي من عرض الدنيا فقال : لا أجر له. رواه الثقات وصححوه.

فمن هذا ومثله عَلِمْنَا أن نتائج العمل تَحْسُنُ وَتَقْبُحُ بالنية ، فعاملوا الله بحسن النيات، واتقوه في الحركات والسكنات ، وصونوا عقائدكم من التمسك بظاهر ماتشابه من الكتاب والسنة ، لأن ذلك من أصول الكفر¹ ، قال تعالى (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ) ، والواجب عليكم وعلى كل مكلف في المتشابه الإيمان بأنه من عند الله ، أنزله على عبده سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كلفنا سبحانه وتعالى تفصيل علم تأويله ، قال جلت عظمتة (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) ، فسبيل المتقين من السلف تنزيه الله تعالى عما دل عليه ظاهره، وتفويض معناه المراد منه إلى الحق تعالى وتقدس ، وبهذا سلامة الدين.

سُئِلَ بعض العارفين عن الخالق تقدست أسماؤه فقال للسائل : إن سألت عن ذاته فليس كمثله شيء ، وإن سألت عن صفاته فهو أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وإن سألت عن اسمه فـ(هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)، وإن سألت عن فعله فـ(كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ)، وقد جمع إمامنا الشافعي رضي الله عنه جميع ما قيل في التوحيد بقوله : من انتهض لمعرفة مديده فانهي إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبه، وإن إطمأن إلى العدم الصرف فهو معطل، وإن اطمأن لموجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد.

أي سادة

نزهوا الله عن سمات المحدثين، وصفات المخلوقين، وطهروا عقائدكم من تفسير الاستواء في حقه تعالى بالاستقرار ، كاستواء الأجسام على الأجسام المستلزم للحلول ، تعالى الله عن ذلك ، وإياكم والقول بالفوقية والسفلية ، والمكان واليد والعين بالجراحة ، والنزول بالإتيان والانتقال ، فإن كل ما جاء في الكتاب والسنة مما يدل ظاهره على ما

¹ في بعض النسخ (الفكر) ! وهو خطأ مطبعي.

ذُكِرَ ، فقد جاء في الكتاب والسنة مثله مما يؤيد المقصود، فما بقي إلا ما قاله صلحاء السلف : وهو الإيمان بظاهر كل ذلك، ورد علم المراد إلى الله ورسوله ، مع تنزيه الباري تعالى عن الكيف وسمات الحدوث، وعلى ذلك درج الأئمة ، وكلُّ ما وَصَفَ اللهُ به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عنه، ليس لأحد أن يفسره إلا الله تعالى ورسوله ، ولكم حُملَ التشابه على ما يوافق أصل المحكم لأنه أصل الكتاب، والمتشابه لا يعارض المحكم، سأل رجل الإمام مالكا بن أنس رضي الله عنه عن قوله تعالى (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) فقال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أراك إلا مبتدعا ، وأمر به أن يخرج ، وقال إمامنا الشافعي رضي الله عنه لما سُئِلَ عن ذلك ، آمنت بلا تشبيه ، وصدقت بلا تمثيل ، واتهمت نفسي في الإدراك ، وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك ، وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه : من قال لا أعرف الله أفي السماء هو أم في الأرض ؟ فقد كفر لأن هذا القول يوهم أن للحق مكانا ، ومن توهم أن للحق مكانا فهو مشبه ، وسُئِلَ الإمام أحمد رضي الله عنه عن الاستواء فقال : استوى كما أخبر ، لا كما يخاطر للبشر ، وقال الإمام ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام : من زعم أن الله في شيء ، أو من شيء ، أو على شيء ، فقد أشرك إذ لو كان على شيء لكان محمولا ، ولو كان في شيء لكان محصورا ، ولو كان من شيء لكان محدثا.

أي سادة

اطلبوا الله بقلوبكم ، هو أقرب إليكم من حبل الوريد ، أحاط بكل شيء علما. الدين النصيحة : إذا قلتم لا إله إلا الله ، فقولوها بالاخلاص الخالص من الغيرية ، ومن خطورات التشبيه والكيفية ، والتحتية والفوقية ، والبعدية والقريبة ، وخذوا نتائج الأعمال بخالص النية ، فقد قال سيد البرية عليه أفضل الصلاة والسلام والتحية ، (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه). أحكموا أعمالكم على الأركان الخمسة التي بني عليها الإسلام ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بُنيَ الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا

رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان) ، إياكم ومحدثات الأمور ، قال عليه الصلاة والسلام : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌ) ، عاملوا الله بالتقوي ، وعاملوا الخلق بالصدق وحسن الخلق ، عاملوا أنفسكم بالمخالفة ، وقفوا عند الحدود، (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ) ، (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا).

إياكم والكذب على الله والخلق ، فإن الدعوي كذب على الله وخلقه ، كل العبودية معرفة مقام العبدية ، الدين عملٌ بالأوامر ، واجتنابٌ عن النواهي، وخضوع وانكسار في الأمرين ، العمل بالأوامر يُقرب إلى الله ، والاجتناب عن النواهي خوف من الله ، وطلب القرب بلا أعمال محال وأي محال، الخوف مع الجرأة فضيحة ، أطلبوا الله بمتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم وإياكم وسلوك طريق الله بالنفس والهوي، فمن سلك الطريق بنفسه ضل في أول قدم.

أي سادة

عظموا شأن نبيكم ، هو البرزخ الوسط الفارق بين الخلق والحق ، عبد الله ، حبيب الله ، رسول الله ، أكمل خلق الله ، أفضل رُسُلِ الله ، الدال على الله ، الداعي إلى الله، المخبر عن الله ، الآخذ من الله ، باب الكل إلى الحضرة الرحمانية ، وسيلة الكل إلى الحضرة الصمدانية ، من اتصل به اتصل ، ومن انفصل عنه انفصل ، قال عليه صلوات الله وتسليماته: (لا يؤمن أحدكم حتي يكون هواه تبعا لما جئت به).

أي سادة

إعلموا أن نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم باقية بعد وفاته كبقائها حال حياته ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وجميع الخلق مخاطبون بشريعته الناسخة لجميع الشرائع، ومعجزته باقية وهي القرآن، قال تعالى (قُلْ لِّئِنْ احْتَمَعْتَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ).

أي سادة

من رد أخباره الصادقة كمن رد كلام الله تعالى، آمنّا بالله وبكتاب الله وبكل ما جاء به نبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا

تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلَّى مَا تَوَلَّى وَنُصِّلَهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا).

أفضل الصحابة سيدنا أبو بكر رضي الله عنه، ثم سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه، ثم عثمان ذو النورين رضي الله عنه، ثم علي المرتضي كرم الله وجهه ورضي عنه، والصحابة رضي الله عنهم كلهم على هدي، روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم). يجب الإمساك عما شجر بينهم، وذكر محاسنهم ومحبتهم، والثناء عليهم رضي الله عنهم أجمعين، فأحبوهم وتبركوا بذكرهم، واعملوا على التخلص بأخلاقهم. قال النبي عليه السلام لأصحابه: (أوصيكم بتقوي الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيروا بغيري اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة). ونوروا كل قلب من قلوبكم بمحبة آله الكرام عليهم السلام، فهم أنوار الوجود اللامعة، وشمس السعود الطالعة، قال تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) وقال صلى الله عليه وسلم (الله الله في أهل بيتي) من أراد الله به خيرا أَلَزَمَهُ وصية نبيه في آله، فأحبهم واعتني بشأنهم وعظمهم وحماهم وصان حماهم وكان لهم مراعياء، ولحقوق رسوله فيهم راعيا، المرء مع من أحب، ومن أحب الله أحب رسول الله، ومن أحب رسول الله أحب آل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أحبهم كان معهم، وهم مع أبيهم عليه الصلاة والسلام، قدموهم عليكم ولا تَقْدُمُوهم، وأعينوهم وأكرمُوهم يَعُدْ خَيْرَ ذَلِكَ عليكم.

إلصقوا بأولياء الله، (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)، الوليُّ من وَاَدَّ الله، وآمن به واتقاه، فلا تحادوا من واد الله. جاء في بعض الكتب الإلهية: (من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب)، الله يغار لأوليائه، ينتقم لهم ممن يؤذيهم، ويكرمهم بِصَوْنٍ محبيهم وعَوْنٍ من يلوذ فيهم، هم أخص المخاطبين بآية: (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة)، عليكم بمحبتهم، والتقرب إليهم، تحصل لكم بهم البركة، كونوا معهم، (أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

أي سادة

حدوا المراتب ، وإياكم والغلو ، أنزلوا الناس منازلهم ، أشرف النوع الإنساني الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأشرف الأنبياء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأشرف الخلق بعده آله وأصحابه ، وأشرف الخلق بعدهم التابعون أصحاب خير القرون ، هذا على وجه الإجمال ، وأما على وجه الأفراد ، فالنص النص ، وإياكم والأخذ بالرأي ، فما هلك من هلك إلا بالرأي ، هذا الدين لا يُحكَم فيه بالرأي أبداً ، حكموا آراءكم في المباحث ، (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ).

اذكروا الأولياء بخير ، إياكم وتفضيل بعضهم على بعض ، رفع الله تعالى بعضهم على بعض درجات ، لكن لا يعرفها غيره ومن ارتضى من رسول ، أيدوا هذه العصاة بترك الدعوي ، شيدوا أركان هذه الطريقة الحمديدية بإحياء السنة ، وإماتة البدعة.

أي سادة

الفقير على الطريق مادام على السنة ، فمتى حاد عنها زل عن الطريق. قيل لهذه الطائفة الصوفية ، واختلفت الناس في سبب التسمية ، وسببها غريب لا يعرفه الكثير من الفقراء ، وهو أن جماعة من مُضَر يُقال لهم بنو الصوفة وهو الغوث بن مر بن أد بن طابخة الربيط ، كانت أمه لا يعيش لها ولد ، فنذرت إن عاش لها ولد لتربطن برأسه صوفة ، وتجعله ربيط الكعبة ، وقد كانوا يجيزون الحاج ، إلى أن من الله بظهور الإسلام ، فأسلموا وكانوا عبّادا ، ونُقل عن بعضهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن صحبهم سمي بالصوفي ، وكذلك من صحب من صحبهم ، أو تعبد ولبس الصوف مثلهم ينسبونه إليهم ، فيقال صوفي. ونوع الفقراء الأسباب : فمنهم من قال التصوف الصفاء ، ومنهم من قال المصافاة وغير ذلك ، وكله صحيح من حيث معناه ، لأن أهل هذه الخرقاة التزموا الصفاء والمصافاة ، وعملوا بالآداب الظاهرة وقالوا إنها تدل على الآداب الباطنة ، وقالوا حسن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن ، وقالوا من لم يعرف أدب الظاهر لا يؤمن على أدب الباطن ، كل الآداب منحصرة في متابعة النبي صلى الله عليه وسلم ، قولاً وفعلاً وحالاً وخلقاً ، فالصوفي آدابه تدل على مقامه ، زنوا أقواله وأفعاله وأحواله وأخلاقه بميزان الشرع ، يعلم لديكم ثقل ميزانه

وخفته. خُلِقَ النبي القرآن، قال تعالى (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)، من التزم الآداب الظاهرة دخل في جنسية القوم وحسب في عدادهم ، ومن لم يلتزم الآداب الظاهرة فهو فيهم غيرٌ، لا يلتبس حاله عليهم، لأن استعمال الآداب دليل الجنسية ، بل تكون علة الضم، قال رويم : التصوف كله أدب، وهذا الأدب الذي أشارت اليه الطائفة أدب الشرع ، كن متشرعا ودع حاسدك يكذب عليك وينسب ما يجب إليك:

ولست أبالي من رماي بريية إذا كنت عند الله غير مريب
إذا كان سري عند ربي منزلها فما ضربي واش أتى بغريب

أيها السالك

إياك ورؤية النفس ، إياك والغرور ، إياك والكبر ، فإن كل ذلك مُهْلِكٌ ، مادخل ساحة القرب من استصغر الناس واستعظم نفسه ، من أنا ومن أنت ؟
أي أخي

كل واحد منا مسكين ، أوله مضغة وآخره جيفة ، شَرَّفَ هذا العَرَضَ جوهرُ العقل، العقلُ ما عَقَلَ النَّفْسَ وأوقفها عند حدها ، فإذا لم يكن عقل المرء عاقلاً لنفسه ، مُوقِفًا لها عند حدها في أخذها وردّها فليس بعقل ، وإذا حُرِمَ المرءُ الجوهر ذهب شرفه وبقي عرضاً ثقيلاً كثيفاً لا يليق لمرتبة عزيزة ، ولا لمنصب نفيس ، وإذا تم عقله وكَمُلَ صار الحُكْمُ فيه للجوهر المحض ، فصلح أن يكون على تيجان الملوك والأكاسرة ، وأول مراتب العقل الانخلاع عن الأنانية الكاذبة والدعوى الباطلة ، وصوله الفتق والرتق ، والوهب والسلب ، وإذا حَكَمَهُ المقامُ وصار صفةً عليه أيضاً ، فاللازم عليه أن يعرف مبتدأه الطيبي ومنتهاه الترايبي ، وأن يقف بين هذه البداية والنهاية بما يناسبهما من قول وفعل ، لأن واعظ الله في قلب كل رجل مسلم ، من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ ، كيف ينتفع بالموعظة من كان قلبه غافلاً ؟ قال سهل : الغفلة سواد القلب ، وقال السيد الأمين صلى الله عليه وسلم من حديث (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب).

أي أخي

تنتفع من موعظتي وأنتفع من موعظتك إذا أخلص كل منا ، أي أخي ، أنت أحسن مني ، زاحمتك ذلة التلقي ، وأنا أخذتني سكرة التعليم.

أي أخي

إن أنا غلبت نفسي المسكينة وقلت لها : عَلَّمَكَ اللهُ وَأَوْجِبْ عَلَيْكَ تَعْلِيمَ الْإِخْوَانِ ، وكاتمُ العلمِ يُلْجِمُ بلجامٍ من نار ، فَتَعْبُكَ لَكَ ، قفي عند حدك ، ربما كان فيهم من هو عند الله أجل منك ، أخفاه عنك ليختبرك ، وبعد ذلك سكنت ثائرتها الكاذبة ، وعَرَفَتْ قدرها ، ووقفت عند طورها ، فلها الحظ الأوفر ، وكذلك أنت.

أي أخي

إن غلبت نفسك وألزمتهما التعلم ، وذبحت الهوي بسكين الاقتداء ، وأخذت الحكمة غاضاً طرفك عن شرفك وعلمك وحسبك وأبيك ومالك وحالك ، فقد فزت فوزاً عظيماً ، ومن لم يحاسب نفسه عن كل نَفْسٍ ويتهمها لم يَثْبُتْ عندنا في ديوان الرجال.

أي سادة

أنا لست بشيخ ، لست بمقدم على هذا الجمع ، لست بواعظ لست بمعلم ، حشرت مع فرعون وهامان إن خطر لي أي شيخ على أحد من خلق الله إلا أن يتغمدي الله برحمته فأكون كآحاد المسلمين ، مت مسلماً ولا تبال ، الإسلام حبل الوصلة إلى الله ، لو عبد الله غير المسلم بعبادة الثقيلين بعيداً عن الله مغضوباً عليه ، ولو أتى العبد المسلم بذنوب الثقيلين له من الله حظ العبودية (قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) ، أَحْكُمُوا رابطة الوصلة مع الله بشرائط الإسلام (المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه).

أين أهل الصدق الذين يأمر الناس بالبر ويأثمون به ؟ أين أهل الإيمان الكامل الذين يطلبون الحكمة ولا يقف نظرهم عند موضعها ؟ من كمال الإيمان والصدق وعَظْمُ نَفْسِكَ ، وَنَفْعُكَ غَيْرَكَ ، وَأَخْذُكَ الْحِكْمَةَ أَيْنَ وَجَدْتَهَا.

كل الفقراء ورجال هذه الطائفة خيرٌ مني ، أنا حميد اللاش أنا لاش اللاش ، لكن الحق يقال، الصوفي من صفي سره من كدورات الأكوان وما رأي لنفسه على غيره مزية ،

هكذا كتب الله وحكم ، وهذا والله خُلِقَ عبيده الذين طهرهم من رؤية غيره ، أي أخي أنت غير ، ونفسك غير ، وغيرك غير ، كل ما أدركه بصرك ، واختلج بشكله وكيفيته شرك ، فهو غير ، ربنا لا تكفيه الأفكار ، ولا تدركه الأبصار.

أي أخي

أخاف عليك من الفرح بالكرامة وإظهارها ، الأولياء يستترون من الكرامة كما تستتر المرأة من دم الحيض.

أي أخي

الكرامة عزيزة بالنسبة إلى المُكْرَم ، ليست بشيء بالنسبة لنا ، لأن هذا الإكرام لما ورد من باب الكريم عَظُمَ وَعَزَّ وتلقته القلوب بالإجلال ، ولما تحول لفظ النسبة إلى العبد هان الأمر ، واستتر الكامل من هذه النسبة التي تحول أمرها من باب قدسم إلى باب حادث خيفة إستحسان النسبة الثانية ، فإن قبولها سم قاتل ، كلنا عار إلا من كساه ، كلنا جائع إلا من أطعمه ، كلنا ضال إلا من هداه ، ليس للعاقل إلا قرع باب الكرم في الشدة والرخاء ، المخلوق ضعف ، عجز ، فقر ، حاجة ، عدم محض.

أكرم الله أحبابه المتقين ، وأظهر على أيديهم الخوارق ، وأيدهم بروح من عنده ، ورفع منارهم فاشتغلوا به تعالى عن كل ذلك ، خافوا الله فأسكنهم جنة قربه ، وأكرمهم إذا نزلوا بها بالنظر إلى وجهه الكريم ، (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ). أشر الهوى رؤية الأغيار ، والاشتغال عن الخالق بالمخلوق ، ما الذي يراه العاقل من الاشتغال بغيره ؟ القول بتأثير غيره في كل أثر من قليل أو كثير كلي أو جزئي شرك. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما (يا غلام إني أعلمك كلمات ، إحفظ الله يحفظك ، إحفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف).

أي سادة

تفرقت الطوائف شيعة وحميد بقي مع أهل الذل والانكسار والمسكنة والاضطرار ، إياكم والكذب على الله ، (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ)، ينقلون عن الحلاج أنه قال : أنا الحق. أخطأ بوهمه ، لو كان على الحق ما قال أنا الحق ، يذكرون له شعراً يوهم الوحدة ، كل ذلك ومثله باطل ، ما أراه رجلاً واصلاً أبداً ، ما أراه شرباً ، ما أراه حضراً ، ما أراه سمع إلا رنة أو طيننا فأخذته الوهم من حال إلى حال. من ازداد قرباً ولم يزد خوفاً فهو مكمور ، إياكم والقول بهذه الأقاويل ، إن هِيَ إلا أباطيل. درج السلف على الحدود بلا تجاوز. بالله عليكم هل يتجاوز الحد إلا الجاهل ، هل يدوس عنوة في الجب إلا الأعمى ؟ ما هذا التطاول ، ذلك المتطاول ساقط بالجوع ، ساقط بالعطش ، ساقط بالنوم ، ساقط بالوجع ، ساقط بالفاقة ، ساقط بالهرم ، ساقط بالعناء ، أين هذا التطاول من صدمة صوت (لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ). العبد متى تجاوز حده مع إخوانه يعد في الحضرة ناقصاً. التجاوز علمٌ نقص يُنشر على رأس صاحبه ، يشهد عليه بالدعوى ، يشهد عليه بالغفلة ، يشهد عليه بالزهو ، يشهد عليه بالحجاب ، يتحدث القوم بالنعم لكن مع ملاحظة الحدود الشرعية ، الحقوق الإلهية تطلبهم في كل قول وفعل. الولاية ليست بفرعونية ولا بنمرودية، قال فرعون : (أنا ربكم الأعلى) ، وقال قائد الأولياء وسيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم (لست بملك) نزع ثوب التعالي والإمرة والفوقية ، كيف يتجرأ على ذلك العارفون، والله يقول (وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ) ، وَصَفُ الْاِفْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ وَصَفُ الْمُؤْمِنِينَ ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ)، هذا الذي أقوله علمُ القوم ، تعلموا هذا العلم ، فإن جذبات الرحمن في هذا الزمان قلت، إصرفوا الشكوى إلى الله في كل أمر ، العاقل لا يشكو لا إلى ملك ولا إلى سلطان، العاقل كل أعماله لله.

أي سادة

ماقلت لكم إلا ما فعلته وتخلقت به ، فلا حجة لكم عليّ ، إذا رأيتم واعظاً أو قاصداً أو مدرسا فخذوا منه كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام أئمة الدين الذين يحكمون عدلاً ويقولون حقاً ، واطرحوا مازاد ، وإن أتى بما لم يأت به رسول الله

صلى الله عليه وسلم فاضربوا به وجهه ، الحذرُ الحذرُ من مخالفةِ أمرِ النبي العظيم صلوات الله وسلامه عليه ، قال تعالى (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ، كان العراقُ أَخَذَةَ المشايخ ، وغيبةَ العارفين ، ماتَ القومُ ، الله الله بمتابعتهم ، اخلفوهم بحسن الخلق ، اعقبوهم بصحة الصدق ، لا تلبسوا ثوب قوله تعالى (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا).

أي إخواني

لا تخلووني غدا بين يدي العزيز سبحانه وقد سبكم² أصحاب الأعمال المرضيات. كل نفس من أنفاس الفقير أعزُّ من الكبريت الأحمر، إياكم وضياع الأوقات ، فإن الوقت سيف إن لم يقطعه الفقير قطعه ، قال تعالى : (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا).

عليكم بالأدب فإن الأدب باب الأرب ، حُكي عن سعيد بن المسيب أنه قال : من لم يعرف ما لله عليه في نفسه ، ولم يتأدب بأمره ونهيه ، كان من الأدب في عزلة ، قال الله تعالى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)، سئل الحسن البصري رضي الله عنه عن أنفع الأدب فقال : التفقه في الدين ، والزهد في الدنيا والمعرفة بحقوق الله تعالى على عبده. وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه : من قهر نفسه بالأدب عبد الله بالإخلاص ، ومن الأدب أيضا الأدب مع المشايخ ، فإن من لم يحفظ قلوب المشايخ سلط الله عليه الكلاب التي تؤذيه.

أدب صحبة من فوقك الخدمة ، ومن هو مثلك لإيثار والفتوة ، ومن دونك الشفقة والتربية والمناصحة ، صحبة العارف مع الله بالموافقة ، ومع الخلق بالمناصحة ، ومع النفس بالمخالفة ، ومع الشيطان بالعداوة. إنكارُ العبدِ نعمةَ الله من موجبات السلب ، أنا من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، إن الله إذا وهب عبده نعمة ما استردها ، شكر النعمة معرفة قدرها ، من أراد أن تدوم نعمته فليعرف قدرها ، ومن أراد أن يعرف قدرها فليشكرها ، الشكر ما قاله الجنيد رضي الله عنه وهو أن لا يستعين العبد بنعمته تعالى على معصيته.

² في بعض النسخ (سبقكم) والصحيح ما أثبتناه.

الشكر وقوف القلب على جادة الأدب مع المنعم ، الشكر أن يتقي العبد ربه حق تقاته ، وذلك أن يُطَاعَ فلا يُعَصَى ، ويُذَكَّرَ فلا يُنْسَى ، ويُشْكِرَ فلا يُكْفَرُ. الشكر اجتناب ما يغضب المنعم تعالى . الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة. قالت عائشة رضي الله عنها (أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة ، فدخل معي في لحافي حتى مس جلدي جلده ، ثم قال لي يا بنت ابي بكر ذريني أتعبد لربي ، قلت إني أحب قربك ، وأذنت له ، فقام إلى قربة من ماء فتوضأ وأكثر صب الماء ، ثم قام يصلي ، فبكي حتى سالت دموعه على صدره ، ثم ركع فبكى ، ثم سجد فبكى ، ثم رفع رأسه فبكى ، فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فأذنه بالصلاة ، فقلت : يا رسول الله مايكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال أفلا أكون عبدا شكورا؟)

قال داود عليه السلام : أي رب كيف أشكرك وشكري لك نعمة من عندك ؟ فأوحى الله اليه : الآن شكرتني . الشكر طلب المنعم ورفض الدنيا وما فيها. طلب المنعم يصح بالزهد ، والزاهد من ترك الدنيا ولا يبالي مَنْ أَخَذَهَا. قال أمير المؤمنين علي رضوان الله عليه وسلامه :

دنيا تخادعني كأني	لست أعرف حالها
ذم الإله حرامها	وأنا اجتنبت حلالها
بسطت إلي يمينها	فكففتها وشمالها
ورأيتها محتاجة	فوهبت جملتها لها

قال العارفون : الزهد قصر الأمل. ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء. من زهد في الدنيا وكل الله به ملكا يغرس الحكمة في قلبه. قال تعالى (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)، والعاقبة للتقوى. كل الخير جعله الله في بيت وجعل مفتاحه التقوى ، قال الله تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً).

أي سادة

أحذركم الدنيا ، وأحذركم رؤية الأغيار ، الأمر صعب والناقد بصير. إياكم وهذه البطالات ، إياكم وهذه الغفلات ، إياكم والعوالم ، إياكم والمحدثات ، أطلبوا الكل بترك

الكل ، من ترك الكل نال الكل ، ومن أراد الكل فاته الكل ، كل ما أنتم عليه من الطلب لا يُصْلِحُهُ إلا تركه والوقوف وراءه ، وَحَدُّوا المطلوب تندرج تحت توحيدكم كل المطالب ، من حصل له الله حصل له كل شيء ، ومن فاته الله فاته كل شيء ، بالله عليكم هذه المعرفة تمر؟ هيهات هيهات ، من خرج عن نفسه وغيره ، وصنع أبهة طبعه، تخلص من قيد الجهل ، ليس الأمر كما تظنون جبة صوف وتاج وثوب قصير ، جبة حزن وتاج صدق وثوب توكل. وقد عرفتم : العارف لا يخلو ظاهره من بوارق الشريعة وباطنه من نيران الحجة ، يقف مع الأمر ، ولا ينحرف عن الطريق ، وقلبه يتقلب على جمر الوجد ، وجدته إيمان ، ووقوفه إذعان.

الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. هكذا أخبر الصادق المصدوق ، ألزمتنا الإحسان أن نقف أمامه وقوف من يراه ، وهو لا تخفي عليه خافية ، عِلْمٌ وَأَمْرٌ وَإِرَادَةٌ ، وبعدها الإمكان ، وبعد الإمكان التكوين ، وبعده التكليف ، وبعده الفصل أو الوصل. صِدْقُ العبودية أن يُسَلَّمَ العَبْدُ لسيده. الفقير إذا انتصر لنفسه تعب ، وإذا سَلَّمَ الأمر لمولاه نصره من غير عشيرة ولا أهل ، أقامنا الله أئمة الدعوة إليه بالنيابة عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، من اقتدي بنا سلم ، ومن أناب إلى الله بنا غنم ، الحق يقال : نحن أهل بيت ما أراد سَلْبُنَا سَالِبٌ إِلَّا وَسَلْبٌ ، وَلَا نَبَحَ عَلَيْنَا كَلْبٌ إِلَّا وَجَرِبَ ، وَلَا هَمَّ عَلَى ضَرْبِنَا ضَارِبٌ إِلَّا وَضَرْبٌ ، وَلَا تَعَالَى عَلَى حَائِطِنَا حَائِطٌ إِلَّا وَخَرِبَ ، (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا) ، (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ).

إنكار بوارق الأرواح جهلٌ بمدد الفتاح ، لا تعطيل لكلمة الله : (الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين). يتولى أمورهم وأمور مناديهم ، ومن ينزل بناديهم ، حال حياتهم وبعد مماتهم ، بلحوق علم منهم وبغير لحوق علم منهم.

العبد إذا كان راحما يستر النائم ولا يذكر له ذلك ، يوصل الخير إلى الفقير ولا يعرفه الخير ، الله الرحمن الرحيم العظيم الكريم ينتصر لعبده الولي من حيث لا يدري ، يرزقه من حيث لا يحتسب ، تعصمه جبال عنايته من غرق ماء الأكداد³ ، تدفع عنه وعن محبيه الأقدار بالأقدار لا به ، ولكن له التَّنَزُّلاتِ الْمُحْكَمَةِ ، ليس لها من دون الله كاشفة،

³ في بعض النسخ (من ماء غرق الأكداد والإقتدار).

من اعتصم بالله عُصِمَ ، ومن وقف مع الأغيار نَدِمَ ، قال سيدى الشيخ منصور الرباني رضي الله عنه : الاعتصام بالله ثقتك به ، وتنزيه خواطرك عن غيره ، القوم أرشدونا ، دلونا على الطريق ، كشفوا لنا حجاب الإغلاق عن خزائن دور الكتاب والسنة ، عَرَفُونَا حكمة الأدب مع الله ورسوله ، هم القوم لا يشقى جليسهم ، من آمن بالله وعرف شأن رسوله أحبه وأتبعه .

أي سادة

القوم بايعوا الله بصدق النيات ، وخالص الطويات على كثرة المجاهدات ، وملازمة المراقبات والطاعات ، والصبر على جميع المكروهات ، قال سبحانه وتعالى فيهم (رِجَالٌ **صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**) ، بادروا ركوب العزائم بالعزم وقوة الحزم ، فهجروا المنام وتركوا الشراب والطعام ، وقاموا لله بالخدمة في حنادس الليل والظلام ، وخدموا بالخشوع والسهر والقيام ، والركوع والسجود والصيام ، وتلملوا في محاريبهم بين يدي محبوبهم لنيل مطلوبهم ، حتى وصلوا إلى مقام القرب ومحل الأنس ، وظهر لهم سر قوله تعالى (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) ، فأعطاهم الدرجة العليا والمحل الأدنى ، ولا ريب فالقريب من القريب قريبٌ ، والمحَبُّ عند أحباب الحبيب حبيبٌ ، حبيبٌ لهم ، حبيبٌ لحبيبهم ، محبوبٌ عند الله ، ترفعه بركة محبتهم إلى درجة الحبوبة ، ما شاء الله كان.

أي سادة

عليكم بالتقرب من أولياء الله ، من وإلى وَلِيِّ اللَّهِ وإلى الله ، ومن عادى وَلِيَّ اللَّهِ عادى الله ، من أحب عدوك هل تحبه يا أخي ؟ لا والله ، الله أَغْيَرُ من الخلق ويفعل وينتقم ويقهر. من أحب محبك هل تبغضه ؟ لا والله ، الله أَكْرَمُ من الخلق ، يُحَسِّنُ وَيُجَمِّلُ وينعم ويكرم وهو أَكْرَمُ الأكرمين ، وأرحم الراحمين. نَعَمْ اللهُ تعالى تُذَكِّرُ ، من قَرَّبَتْهُ من العزيز فهو قريب ، ومن أَبْعَدَتْهُ عنه فهو بعيد ، أيها البعيد عنا ، الممقوت منا ، ما كان هذا منك يامسكين ، لو كان لنا فيك مقصد يشهد بحسن استعدادك ، وخالص حبك إلى الله وأهله اجتذبتناك إلينا وحسبناك علينا ، شئت وإلا ، لكن الحق يقال : حظك منك ، وعدم استعدادك قطعك ، لو حسبناك منا ما تباعدت عنا ، خذ مني يا

أخي علم القلب ، خذ مني علم الذوق ، خذ مني علم الشوق ، أين أنت مني يا أخت الحجاب ، كُشِفَ لي قَلْبُكَ .

أي أخي

لو سمعت نصحي لتبعتني ، لا تقل لو أخذتني تبعتك ، أنا على النصيحة ، وأنت على كل حال عليك أن تسمع وتتبع ، اعمل بطاعة الله ، وارض بقضاء الله ، واستأنس بذكر الله ، تكن من أصفياء الله ، من عرف الله زال همه ، العارف من هاجر وتجرد من الخلق .

أي سادة

المغبون من أنفق عمره في غير طاعة الله ، والزاهد من ترك كل شيء يُشغِلُ عن الله ، والمقبل من أقبل إلى الله ، وذو المروءة من لم ينزل بدون الله ، والقوي من استقوى بالله ، عليكم بتجريد التوحيد ، وهو فقدان رؤية ما سواه لوحدهيته ، إن قلت يا الله ، فقد ذكرته باسمه الأعظم ، ولكن حرمت هيئته ، لأنك تقول من حيث أنت لا من حيث هو ، الغنى الأكبر الأنسُ به سبحانه وتعالى ، والفاقة العظمى دوام الأنس بالموتى ، وأغلظُ حُجُبِ القلوب الاستناد إلى المربوب ، معدن المعرفة القلب ، قال تعالى : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) ، وقال تعالى : (وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ).

أي سادة

من يتق الله يحفظ السر عن آفات الالتفات إلى السوى ، يجعل له مَخْرَجًا من حُجُبِ الإبعاد ، ويرزقه المشاهدة والوصلة من حيث لا يحتسب ، سبب معرفة العبد ربه معرفة العبد نفسه ، من عَرَفَ نفسه فقد عرف ربه ، ومن عَرَفَ نفسه لربه أفني كليته بربه ، أوحى الله إلى داود عليه السلام (ألا من عرفني أراذني وطلبني ، ومن طلبني وجدني ، ومن وجدني لم يختر عليَّ حبيباً سواي).

عجبت لمن يقول ذكرت ربي وهل أنسي فأذكر من نسيت
أموت إذا ذكرتك ثم أحيا ولولا ماء وصلك ما حييت
فأحيا بالمني وأموت شوقا فكم أحيا عليك وكم أموت

شربت الحب كأسا بعد كأس فما نفد الشراب وما رويت

أي سادة

عليكم بذكر الله ، فإن الذكر مغناطيس الوصل ، وحبل القرب ، من ذكر الله طاب
بالله ، ومن طاب بالله وصل إلى الله ، ذكرُ الله يثبت في القلب ببركة الصحبة ، المرء على
دين خليله ، عليكم بنا ، صحبتنا ترياق مجرب ، والبعد عنا سم قاتل.

أي محبوب

تزعم أنك اكتفيت عنا بعلمك ، ما الفائدة من علم بلا عمل ؟ ما الفائدة من عمل
بلا إخلاص ؟ الإخلاص على حافة طريق الخطر ، من ينهض بك إلى العمل ؟ من يداويك
من سم الرياء ؟ من يدلك على الطريق القويم بعد الإخلاص ؟ (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ
كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ، هكذا أنبأنا العليم الخبير ، تظن أنك من أهل الذكر، لو كنت من أهل
الذكر ما حرمت ثمرة الفكر ، صدك حجابك ، قطعك علمك ، قال عليه الصلاة
والسلام : (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع).

لازم أبوابنا أي محبوب ، فإن كل درجة وآونة تمضي لك في أبوابنا درجة وإنابة
إلى الله تعالى ، صحت إنابتنا إلى الله ، قال تعالى (وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ). أيها
المتصوف : لم هذه البطالة ، صر صوفيا حتي نقول لك أيها الصوفي.

أي حبيبي

تظن أن هذه الطريقة تورث من أبيك ، تسلسل من جدك ، تأتيك باسم بكر
وعمر، تُصَرُّ لك في وثيقة نسبك ، تُنْقَشُ لك على جيب خرقتك ، على طرف
تاجك ، حسبت هذه البضاعة ثوب شَعْرٍ ، وتاجا وعكازا ، ودلقا وعمامة كبيرة ، وزيا
صالحا ، لا والله ، إن الله لا ينظر إلى كل هذا ، ينظر إلى قلبك كيف يُفَرِّغُ فيه سره
وبركة قربه ، وأنت غافل عنه بحجاب التاج ، بحجاب الخرقه ، بحجاب السبحة ، بحجاب
العصا ، بحجاب المسوح ، إيش هذا العقل الخالي من نور المعرفة ؟ إيش هذا الرأس الخالي
من جوهر العقل ؟ ما عملت بأعمال الطائفة وتلبس لباسهم يا مسكين؟

يا أخي

لو كلفت قلبك لباس الخشية ، وظاهرهك لباس الأدب ، ونفسك لباس الذل ،
 وأنايتك لباس المحو ، ولسانك لباس الذكر ، وتخلصت من هذه الحُجُبِ ، وبعدها
 تلبست بهذه الثياب ، كان أولى لك ثم أولى ، لكن كيف يقال لك هذا القول وأنت
 تظن أن تاجك كتاج القوم ، وثوبك كثوبهم ، كلا الأشكال مؤتلفة ، والقلوب
 مختلفة ، لو كنت على بصيرة من أمرك خلعت أباك وأمك ، وجدك وعمك ، وقميصك
 وتاجك ، وسريرك ومعراجك ، وأتيتنا بالله لله ، وبعد حسن الأدب لبست ، وأظنك بعد
 الأدب تقطع نفسك عن الثوب والعوارض القاطعة.

أي مسكين

تمشي مع وهمك ، مع خيالك ، مع كذبك ، مع عُجْبِكَ وغرورك ، وتحمل نجاسة
 أنايتك ، وتظن أنك على شيء ، وكيف يكون ذلك؟ تَعْلَمُ علمَ التواضع ، تَعْلَمُ علم
 الحيرة ، تَعْلَمُ علمَ المسكنة والانكسار.

أي بطل

تعلمت علم الكبر ، تعلمت علم الدعوى ، تعلمت علم التعالي ، إيش حَصَلَتْ من
 كل ذلك ؟ تطلب هذه الدنيا الجائفة بظاهر حال الآخرة ، لبئس ما صنعت ، ما أنت
 إلا كمشتري النجاسة بالنجاسة ، كيف تُغْفَلُ نفسك بنفسك ، وتكذب على نفسك
 وأبناء جنسك ؟ لا يقرب الحب من محبوبه حتي يبعد عن عدوه ، رمي بعض المريدين
 ركوته في بعض الآبار ليستقي الماء فخرجت مملوءة بالذهب ، فرمي بها في البئر وقال
 يعزيزي وحقك لا أريد غيرك. من أثبت نفسه مُريداً صار مُراداً ، من أثبت نفسه طالبا
 صار مطلوباً ، من عكف على الباب دخل الرحاب ، ومن أحسن القصد بعد الدخول
 تصدر في غرفة الوصلة ، دخل علي كرم الله وجهه ورضي عنه مسجد رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فرأى أعرابيا في المسجد يقول : إلهي أريد منك شويهة ، ورأي أبا بكر
 الصديق رضي الله عنه في زاوية أخرى يقول : إلهي أريدك. شتان ما بين المرادين ، شتان
 ما بين الهمتين ، تلعب الآمال بالعقول ، تلعب بالهمم ، كلٌ يطير بجناح همته إلى أمله
 ومقصد قلبه ، فإذا بلغ غاية همته وقف فلم يجاوزها ، قال تعالى : (كُلُّ يَعمَلُ عَلَى
 شَاكِلَتِهِ) أي على نيته وهمته.

أي أخي

لا تجعل غايه همتك ومنتهى قصدك أن تمر على الماء أو تطير في الهواء. يصنع الطير والحوث ما أردت. طر بجناح همتك إلى ما لا غاية له. العارف المتمكن لا شيء عنده من العرش إلى الثرى أعظم من سروره بربه، والجنة وكل ما فيها في جنب سروره بربه أصغر من خردلة ملقاهة في أرض فلاة ، من حساسة النفس ودناءة الهمة وقلة المعرفة اشتغالك بالنعمة عن المنعم ، العارفون تجردوا عن الدارين ، وطلبوا رب العالمين ، تجردوا عن النفس والولد ، أوحى الله تعالى إلى يعقوب عليه السلام لما قال يا أسفا على يوسف ، إلى متى تذكر يوسف؟ أيوسف خلقك أو رزقك أو أعطاك النبوة ؟ فبعتني لو كنت ذكرتني، واشتغلت بي عن ذكر غيري لفرجتُ عنك من ساعتك ، فعلم يعقوب عليه السلام أنه مخطيء في ذكره يوسف ، فأمسك لسانه عن ذكره. قال موسى عليه السلام : إلهي أقرب أنت فأناجيك ، أم بعيد فأناديك ؟ فقال الله تعالى : أنا جليس لمن ذكرني ، وقريبٌ ممن أنسَ بي ، أقرب إليه من حبل الوريد .

أي سادة

قال أهل الله رضي الله عنهم : من ذكر الله فهو على نور من ربه ، وعلى طمأنينة من قلبه ، وعلى سلامة من عدوه ، وقالوا : ذكر الله طعام الروح ، والثناء عليه تعالى شراها ، والحياء منه لباسها ، وقالوا : ماتنعم المتنعمون بمثل أنسه ، ولا تلذذ المتلذذون بمثل ذكره ، وجاء في بعض الكتب الإلهية أن الله تعالى قال : من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ ، ومن ذكرني من حيث هو ذكرته من حيث أنا ، ومن ذكرني من حيث هو أعطيته من حيث أنا . القوم شغلهم ذكره ومقصدهم هو ، يرون أن الحوادث الكونية تقوم بقضائه وقدره فلا يعارضونها ، لا بقلب ولا بلسان، (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما من مؤمن إلا وعلى قلبه شيطان ، إذا ذكر الله خنسَ ، وإذا نسي الله وسوس.

أي سادة

لو أن العالم فريقان : فريق يبخرني بالنَد والعنبر ، وفريق يقرض لحمي بمقاريض من نار، ما نقص هؤلاء عندي ، ولا زاد هؤلاء عندي ، لعلمي أن ذلك من مجاري الأقدار ، إذا قطعتم جبل المعارضة بسكين التسليم له ذكرتموه ، جاء في الخبر (أذكر الله حتي يقولوا مجنون).

أي سادة

هذه الخيالات الباطلة أخذتكم من وادٍ إلى وادٍ ، وهذه الحُجُبُ الغليظة حولتكم من مقام إلى مقام ، ليست المهمة أن يقف الرجل عند حجابهِ ، بل المهمة أن يَفْتَقَ شراع الحجاب ، ويتدلى إلى الرحاب ، صوارم المهم تفعل مالا يمر بالأوهام ، حُجُبُ القلوب لا تُشَقُّ إلا بسهام القلوب .

قال علي أمير المؤمنين عليه السلام :

دواؤك منك وما تبصر ودأؤك فيك وما تشعر

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

العالم الأكبر العقل ، وقد انطوى بك ، ومن العالم المطوي فيك يظهر لك جرمك الذي استصغرتَه ، إذا لولا وصول جرمك إلى الغاية التي تحيط بذلك العالم الأكبر وتليق له، لما صار محلا للعالم المذكور ، فخذ بالهمة العالية على مقدار ما بلغه جرم هيكلك من الإحاطة بالعالم الأكبر الذي يمتد شعاع مادته إلى كل مقام ، وتنتهي بوارق رسله إلى كل حضرة ، وتَشَقُّ عزائم مداركه صفَ كُلِّ معمعةٍ ، وتبلغُ نجائبُ فكرته إلى كل حضرة ، به الله يعطي ويمنع ويصل ويقطع ، ويفرق ويجمع ، ويَضَعُ ويرفع ، وعليه جعل مدار الأكوان، وهو أول مخلوق من المواد الكبرى الآدمية ، أنبأنا الحبيب الكريم ، والسيد العظيم ، عليه صوات الله وتسليمه : (إن أول ما خلق الله العقل) ، فإذا علمتم ما انطوى فيكم عظمتكم شأن ذواتكم ، واحتفلتم بإعلاء شرف صفاتكم حتي تَسْمُوا عن منزلة الحجاب بالقوة ، بالجمال ، بالمال ، بالأهل ، بالعشيرة ، بالمنصب ، بالرياسة.

قال إمامنا الشافعي رضي الله عنه :

وكل رياسة من غير علم أذل من الجلوس على الكناسة

العقل عاقل العلم ، لا يتم شرف العلم للمخلوق إلا بالعقل ، قال جماعة بإعلاء قدر العلم على العقل ، ولكن ذلك بالنسبة إلى الله لأن العلم صفته تعالى ، والعقل صفة المخلوق ، وأما بالنسبة إلى علمنا وعقلنا فعقلنا أجل مرتبة وأرفع منزلة من علمنا ، إذا لولا العقل لما تم لنا العلم ، العاقل يكبو ويصرع ولكن يؤمل له النجاح ويرجى له الخير ، والأحمق يصرع ويكبو ويخشى عليه القطيعة وعدم النجاح ، العاقل من فهم حكمة الدين ، بلغنا عن الإمام علي أمير المؤمنين كرم الله وجهه ورضي الله عنه أنه قال : كل عقل لم يحظ بالدين فليس بعقل ، وكل دين لم يحظ بالعقل فليس بدين ، هذا الدين أتى بأحكام ألزمتنا المبلغ عليه الصلاة والسلام العمل بها والاجتناب عنها ، ووعد وأوعد ، فإذا تريض العقل بالعمل والاجتناب ، يصل إلى الإحاطة بسر الوعد والوعيد.

أي سادة

تفكروا ، هل من عقلٍ ذكيٍّ قرَّ بطبعٍ سليمٍ يجهل حكمة الأوامر والنواهي الدينية ويردها؟ لا والله ، بل كل عاقل ذكي العقل ، سليم الطبع ، تعكف أشعة عقله على عتبة باب الأمر والنهي ، عملاً يجمعها بين خيري الدنيا والآخرة ، وما بقي عندكم إلا ما جاء في الوعد من فضل الله وكرمه ، وفيه أبحاث عليّة ، تذكر عجائب قدرته تعالى ، وما جاء في الوعيد من بطش الله وعدله ، وفيه أبحاث غامضة تذكر غرائب عظمة الألوهية ، يشهد على كونها طبعك وحجابك ، وفهمك وفكرك ، وكل ماتراه من المشهودات الكونية ، العلوية والسفلية ، حجبك عن حقيقة كشفها عدم استعدادك ، وقلة قابليتك وقطيعتك ، ودناءة همتك ، أين الرياضة التي جَلَّتْ عن مرآة عقلك غبار غفلتك؟ أين متابعة الدليل الأعظم صلى الله عليه وسلم بكل ما جاء به قولاً وفعلاً وحالاً وخلقاً؟ هات هذه النقود وأطلب بعدها البضاعة ، أيصح لبواب الملك أن ينكر على جلّاسه ما يذكرونه من زينة داره ، وأمتعة بيته ، وحسن ألبسته ، وأوانيه وأسلحته ومخزوناته ، وشدة عقابه وبطشه فيمن يغضب عليه ، وكثرة عوائده وفوائده وإحسانه إلى من يحبه ويقربه ، كيف يصح ذلك للبواب ، وهو مسكين محجوب بما هو فيه من عقله ، أن يجتهد لإحراز رتبة المجالسة ، كي يرى ما رآه جلّاس الملك؟

هذا أجلٌ من إنكاره ، وأعم مكرمة وأحسن حالا ، وأسلم عاقبة وأصلح شأننا ، إذا طبعت مرآة بصيرة القلب بتراكم صدا الغفلة عن الرب ، توارت وجوه الحقائق عن بواطن الافهام ، وامتنع عنها إنفاذ نور الإلهام ، فأظلم وجه البيان بتصاعد أبخرة الخيالات وغمامات الأوهام ، ما تغني الشمس عن المكفوف مع كمال إشراقها ، وماله عيون تقبل منه نورها وبرهانها ، وما يجدي فرط الإشراق مع ضعف الإحداق ، نحن في موقف إشراق شمس القدرة ، وعيون أفهامنا ضعيفة ، وبغمامات الغفلة محتجبة ، فما لنا عيون تصلح لرؤية ذلك الجمال ، ولا قلوب تحمل مهابة تلك العظمة وعزة ذلك الجلال ، كلنا تجري بنا سبل الفناء وتقذفنا في أغوار غاياتنا المغيبة عنا ، المحجوبة دوننا ، كلنا تجري سفن المنايا بريح حرصنا وشراع أطماعنا في بحر آمالنا ، وتقذفنا في لجج آجالنا وهمومنا ، موكلة بقضاء مهماتنا عن عاجل أمورنا ، وأيدي الحوادث تتلاعب بنا وهواتف الفناء تزعجنا .

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن
ما دون دائرة الرحي حصن لمن يتحصن

كل يوم ينادي ملك الموت من بين أيدينا ومن خلفنا : (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ)، وظلمات أجداثنا تنتظر ولُجُ أجسادنا ، ونحن غرقى في غمرة غفلاتنا ، وسكرة شهواتنا ، فيا أيها العاقل إلى متى تصرف نفسك عن طريق النجاة إلى سبيل المعاطب والمهلكات ؟ وتصرفها عن فسحة الطاعات إلى مضايق المخالفات؟ وتعرضها لما بين يديها وتسقيها من كؤوس الخطيئات وأدناس السيئات ؟ وتوردها موارد الفتن والآفات ؟

أي أخي

العمر قصير والناقد بصير وإلى الله المصير .
يا أيها المعداد أنفاسه لا بد يوما أن يتم العدد
لا بد من يوم بلا ليلة وليلة تأتي بلا يوم غد

أي سادة

الفكر أول أعمال النبي صلى الله عليه وسلم، كان قبل فرضية المفروضات عبادته التفكير في آلاء الله ومصنوعاته، حتى كُلفَ ما كُلفَ عليه صلوات الله وسلامه، فعليكم بالتفكر في آلاء الله، وأخذ العبرة من الفكرة، فإن الفكرة إذا خلت من العبرة بقيت وسواسا وخيالا، وإذا أنتجت العبرة بقيت واعظا وحكمة، أحكموا الأعمال بعد التفكير على أصل صحيح، وأحكموا الأخلاق بعد الأعمال على طريق مليح، وزينوا كل ذلك بالنية، وخذوا بحبال السخاء فإنه من علامات الزهد، وأقول هو باب الزهد، وأقول إذا صح وعلت طبقتة كل الزهد، وهو أول قدم القاصدين إلى الله، قال تعالى (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)، أيدوا عقدة حبل الوصلة مع الله بغض الطرف عما تراه أبصاركم من النكس عند الخلق، طمعا بتعمير الحق، فإنه تعالى يقول (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ).

لا تجعلوا منتهى أنظاركم وغاية أبصاركم رؤية الخلق، ملوكهم وأواسطهم والطبقة السفلى منهم على حال واحد في العجز والفقر والمسكنة، حجب قامت على العيون ستر بها الخالق خلقه، وقضى فيهم بأمره، فالعاقل من أدرك هذا الشأن وأعرض عن الحجاب والمحجوب، والتجأ إلى المقيم القديم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ). لا تطلقوا ألسن العلماء ومعها قلوب الجبابرة، وجراءة الزنادقة، وفجور الكفرة، إذا أطلتكم الألسن أمسكوا الجوارح والقلوب عن كل ما يغضب الملك العدل اللطيف الخبير، هذا أحسن حالا مع الله وأحسن مع الناس وأحسن معكم في أنفسكم إذا خلوتكم، إذا خلوتكم، إذا متم، إذا بُعِثْتُمْ، إذا سُئِلْتُمْ. هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، الله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، الله الله، أخطركم الله امتثالا، ويحذركم الله نفسه أمرا، فقابلوا النصيحة بالقبول، وقابلوا الأمر المطاع بالامتثال، وإياكم ومحاربة الله، فما فاز من حاد الله، ولا ذل من والى الله (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ).

صحت أسانيد أولياء الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تلقن منه أصحابه كلمة التوحيد جماعة وفُرادى ، واتصلت بهم سلاسل القوم ، قال شداد بن أوس : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (هل فيكم غريب ؟ يعني من أهل الكتاب ، قلنا لا يارسول الله ، فأمر بغلق الباب وقال : ارفعوا أيديكم وقولوا : لا إله إلا الله ، فرفعنا أيدينا وقلنا لا إله إلا الله ، ثم قال الحمد لله ، اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة ، وأمرتني بها ، ووعدتني عليها الجنة ، وإنك لا تُخلف الميعاد ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : ألا أبشروا فإن الله قد غفر لكم).

هذا وجه تلقينه صلوات الله وسلامه عليه أصحابه جماعة ، وأما تلقينه عليه الصلاة والسلام جماعة منهم فُرادى ، فقد صح أن عليا رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله دلني على أقرب الطرق إلى الله وأسهلها على عباده ، وأفضلها عند الله تعالى ، فقال صلى الله عليه وسلم (أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله ، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة ، لرجحت بهم لا إله إلا الله). ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول : الله الله). فقال علي رضي الله عنه كيف أذكر يارسول الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام : أغمض عينيك واسمع مني ثلاث مرات ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع فقال صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله ، ثلاث مرات مغمضا عينيه ، رافعا صوته ، وعلي يسمع ثم قال علي رضي الله عنه : لا إله إلا الله ، ثلاث مرات مُغمضا عينيه رافعا صوته والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع . وعلى هذا تسلسل أمر القوم ، وصح توحيدهم ، وتجردوا عن الأغيار بالكلية ، وأسقطوا وهم التأثير من الآثار ، وردوها بيد اعتقادهم الخالص إلى المؤثر ، وقاموا على قدم الاستقامة ، فكمُلت معرفتهم وعلت طريقتهم ، فعاملوا الله كما عاملوه ، تحصل لكم المناسبة مع القوم ، ويتم نظامُ أمركم ورائهم ، فتكون أقدامكم على أقدامهم ، القوم سمعوا وأطاعوا ، ولكنهم سمعوا أحسن القول فاتبعوه ، وسمعوا غير الحسن فاجتنبوه ، تخلقوا وفتحوا مجالس الذكر، وتواجدوا وطابت نفوسهم وصعدت أرواحهم ، لاحت عليهم بوارق الإخلاص حالة ذكرهم وسماعهم ، تري أن أحدهم كالغائب على حال

الحاضر، كالحاضر على حال الغائب ، يهتزرون اهتزاز الأغصان التي تحركت بالوارد لا بنفسها ، يقولون : لا إله إلا الله ، ولا تشغل قلوبهم بسواه ، يقولون الله ، ولا يعبدون إلا إياه ، يقولون : هو وبه لا غيره يتباهون، إذا غناهم الحادي يسمعون منه التذكار ، فتعلمو همتهم في الاذكار ، لك أن تقول يا أخي الذكر عبادة ، فما الذي أوجب أن يذكر في حلقة كلام العاشقين وأسماء الصالحين ؟ ولكن يقال لك : الصلاة أجل العبادات يُتَلَّى فيها كلامُ الله وفيه الوعدُ والوعيدُ ، ويقال في تحية الصلاة : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، ما أشرك المصلي ولا خرج عن بساط عبادته ، ولا عن حد عبوديته ، وكذلك الذاكر ، سمع الحادي يذكر اللقاء ، فطاب بطلب لقاء ربه ، من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، سمع الحادي يذكر الفراق ، فتأهب للموت وتفرغ من حب الدنيا ، حب الدنيا رأس كل خطيئة ، سمع الحادي يذكر الصالحين ، فتقرب بحب أحباب الله إلى الله ، هذه من الطرق التي بعدد أنفاس الخلائق إلى الله.

غني بهم حادي الأوبة في الدجي فأطار منهم أنفسا وقلوبا
فأراد مقطوع الجناح بثينة وهو أرادوا الواحد المطلوب

نعم يؤاخذ الكاذب ، يحرم عليه السماع ، يلزم بعدم الحضور في مجالسه حتى يصدق، أين أولئك ؟ كادوا يدخلون أعداد الملائك ، غلبوا نفوسهم فاضمحت ، وطاروا بأجنحة الأرواح فسارت بهم ودنت فتدلت ، وقليل ما هم ، أخلصوا ، فتخلصوا من قيد الرقبة ، ووصلوا إلى مقام الحرية ، ماملكتهم الأغيار ، كلا، بل هم الأحرار كل الأحرار ، كانوا وبانوا.

رحم الله القائل :

تمنيت على الزمان محالا أن ترى مقلتي طلعة حر

ماقلت لك يا أخي ذهب القوم ، لإساءة الظن بأهل الوقت ، ولكن القول على الغالب نحن في زمان عمت به الجهالة ، وكثرت به البطالة ، وفشت فيه الدعوي الكاذبة ، ونُقِلت فيه الأخبار المزخرفة ، إيش نعمل ؟ نحرد على من ؟ أكثر الناس سلكوا هذه الطرق : دارهم مادمت في دارهم وحيهم مادمت في حيهم ، ولكن ما الفائدة من مداراة

تأخذهم بها العزة ، ومن تحية تمكن فيهم الغفلة ، (فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين) ، (وأمر بالعرف).

إيش أعمل بالسماع الذي رقص فيه الراقص بغير قلب ، ونجاسة النفس لطخنة ؟ كيف يُحَسَّبُ برقصه ونقصه من الذاكرين ؟

ورب تال تلا القرآن مجتهدا بين الخلائق والقرآن يلعنه

لله ملائكة جرد تحت العرش يرقصون ويذكرونه تعالى ويهتزون لذكره ، هذه أرواح رقصت بالله ، وأنت يا مسكين ترقص بنفسك لنفسك ، أولئك الذاكرون ، وأنت المغبون المفتون ، سمى القوم الهز بالذكر رقصا إذا كان وارد الهزة من الروح ، فنسبوا الرقص للروح لا للجسم ، وإلا فأين الراقصون وأين الذاكرون ؟ طلب هؤلاء حق ، وطلب هؤلاء ضلال.

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

الراقصون كذابون ، والذاكرون مذكورون ، بين الملعون والمحبوب بون عظيم ، إذا دخلتم مجالس الذكر فراقبوا المذكور ، واسمعوا بأذان واعية ، إذا ذكر الحادي أسماء الصالحين فألزموا أنفسكم اتباعهم لتكونوا معهم ، المرء مع من أحب ، أوجبوا عليكم التخلق باخلاقهم ، خذوا عنهم الحال والوجد الحق ، الوجد الحق وجدان الحق ، لا تعملوا بالهوى ، لا أقول لكم أي أكره السماع لتحقيقي في مقام سماع القول واتباع أحسنه ، ولكن أقول لكم إني أكره السماع للفقراء القاصرين عن هذه المرتبة لما فيه من البليات الموقعة في أشد الخطيئات ، وإذا كان ولا بد فمن حادي أمين مخلص يمدح الحبيب عليه السلام ، ويذكر بالله ، ويذكر الصالحين ، وهناك وقفوا ، وعلى المرشد العارف أن يأخذ من السماع الحصة اللازمة ، ويفيضاها على قلوب أهل حضرته بإذن الله وقدرته ، فإن الحال يسري كسريان الرائحة في المشام ، ونقطة الإخلاص إكسير.

الرجل من يربي بحاله لا من يربي بمقاله ، وإذا جمع بين الحال والمقال فهو الرجل الأكمل. أخذتم هذه المواكب عُدَّة لقمع شوكة الكافرين والصابئين ، وأصحاب الزيغ ، والذين في قلوبهم مرض في هذه البقاع لإرهابهم ، وإعلاء كلمة الدين ، وتشديد شرف المسلمين. أحسنتم العمل إن حسنت معه النية ، كَمُلُ الخير إن أرجعتم كل أحوالكم إلى

الكتاب والسنة ولو من باب ، وإلا فبئست الأحوال والأعمال والأقوال ، بل أقول إذا ساءت المذاهب لافرق بينكم وبين أولئك القوم إلا بالعلامة والعمامة ، فكونوا من القوم أحباب الله ، وأهل باب الله ، لا من القوم أعداء الله ، المبعودين عن الله .

أي سادة

إياكم والدجالية ، إياكم والشيطانية ، إياكم والطرق التي تقود إلى كلا الوصفين ، أخرجوا الشيطان بخالص الإيمان ، خربوا بيع الدجل بيد الصدق .

الطريق واضح : صلاة وصوم وحج وزكاة ، والتوحيد والشهادة برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام أول الأركان ، واجتناب المحرمات حال المؤمن مع الله ، وهذا هو الطريق ، ومن حال المؤمن مع الله أيضا ذكر الله تعالى كثيرا ، ومن أدب الذكر صدق العزيمة ، وكمال الخضوع والانكسار ، والانخلاع عن الأطوار ، والوقوف على قدم العبودية بالتمكن الخالص والتدرع بدرع الجلال ، حتي إذا رأي الذاكر رجل كافر أيقن أنه يذكر الله بصدق التجرد عن غيره ، وكل من رآه هابه ، وسقط من بوارق هيئته على قلب الرائي ما يجعل هشيم خواطره الفاسدة هباءً منثوراً ، وإذا كان الأمر على غير هذا المنوال ، فأحسنه بالنسبة إلى العامة التمكن ، وضبط القول ، وجمع الأدب الباطني والظاهري مهما أمكن ، وكف الطرف عن النظر إلى أحد .

اللهم اجعلنا ممن ركبت على جوارحهم من المراقبة غلاظ القيود وأقمت على سرائرهم من المشاهدة دقائق الشهود ، فهجم عليهم نشر الرقيب مع القيام والقعود ، فنكسوا رؤوسهم من الخجل وجباهم للسجود ، وفرشوا لفرط ذلهم على بابك نواجم الخدود ، فأعطيتهم برحمتك غاية المقصود ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

يا فقير اقتد بالقرآن المجيد ، اتبع آثار السلف ، ايش أنا حتى أدعو لك ؟ ما مثلي إلا كمثل ناموسة على الحائط لا قدر لها ، حُشِرَتْ مع فرعون وهامان وقارون ، وأخذني ما أخذهم إن كان خطر لي في سري أي شيخ هذا الجمع ، أو مقدمهم ، أو من يحكم عليهم ، أو ثبت عندي أي فقير منهم ، وكيف تدعوه نفسه إلى ذلك من هو لا شيء ، ولا يصلح لشيء ، ولا يُعَدُّ بشيء .

أي سادة

لا تضيعوا أوقاتكم بما ليس لكم به راحة ، فما مضى منكم من نفسٍ إلا وهو معدود عليكم ، إياكم وما تغترون به ، واحفظوا أوقاتكم وقلوبكم ، فإن أعز الأشياء الوقت والقلب ، فإذا ضيعتم الوقت ، وأهملتم القلب ، فقد ذهبت منكم الفوائد ، واعلموا أن الذنوب تُعمي القلوب وتُسَوِّدُهَا ، وتسوؤها وتُمرِّضُهَا. مكتوب في التوراة في كل قلب مؤمن نائحة تنوح عليه ، وفي كل قلب منافق مُعْنٍ يُعْنِي له ، وفي قلب العارف موضعٌ لا يسره أبداً ، وفي قلب المنافق موضعٌ لا يُعْطيه أبداً.

أي سادة

أنتم تذكرون الله في هذا الرواق ، وتتواجدون وتهتزرون فيقول الفقهاء المحجوبون رقص الفقراء ، ويقول العارفون رقص الفقراء ، فمن كان منكم وجده كاذبا ، وقصده فاسداً ، وذكره من اللسان مع طمح الطرف إلى الأغيار ، فهو راقص كما قال الفقهاء ، وصدق عليه ما قالوا ، ومن كان منكم وجده صادقا ، وقصده صالحا عملا بقوله تعالى : **(الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)** ، وكان من الذين إذا سمعوا القول قصدوا المراد من القول ، وهو الإجابة لداعي الله في الأزل ، كما قال تعالى فيهم **(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى) ،** فسمع من سمع بلا حد ولا رسم ولا صفة ، فثبتت حلاوة السماع فيهم بترديدها ، فلما خلق الله تعالى آدم عليه السلام وكونه ، وأظهر ذريته إلى الدنيا ، ظهر ذلك السر المصون المكنون فيهم ، فإذا سَمِعُوا نعمةً طيبةً وقولاً حسناً ، طارت همهم إلى الأصل الذي سمعوه من ذلك النداء ، وأولئك هم العارفون بالله تعالى في الأزل ، المتحابون فيه ، المتزاورون لأجله ، الذاكرون المهيمون به عن غيره ، فذلك الفقير يقال له ذاكر ، رقصت روحه ، وصحت عزيمته ، وكمل عقله ، وابتضت صحيفته ، وأخذ من السماع الحظ المكنون ، ونشر السر المطوي فيه ، لأن السماع موجود سره في طبع كل ذي روح يسمع ، وكل جنس يسمع بما يوافق طبعه ، ويفهم من السماع ما تنهي إليه همته ، أما تري الطفل إذا سمع الحدو طرب ونام ، والجَمال إذا حداها الحادي سارت ونسيت ألم الثقل ؟

جاء في الآثار أن الله ما خلق في السموات والارض ألد من صوت إسرائيل عليه السلام ، فإذا قرأ في السماء قطع على أهل السموات السبع ذكرهم وتسبيحهم ، لما أهبط الله آدم إلى الأرض بكى ثلاثمائة عام فأوحى الله تعالى إليه : يا آدم فيم بكائك ؟ وما جزعك ؟ فقال يارب لست أبكي شوقا إلى جنتك ، ولا خوفا من نارك ، وإنما بكائي شوقا إلى الملائكة المتواجدين حول العرش ، سبعين ألف صف جرد مرد يرقصون ويتواجدون ويدورون حول العرش ، ويد كل واحد منهم بيد صاحبه ، وهم يقولون ، جل الملك ملكنا ، لولا ملكنا هلكنا ، من مثلنا وأنت إلهنا ؟ ومن مثلنا وأنت حبيبنا ومستغاثنا ؟ وذلك دأبهم إلى يوم القيامة ، فأوحى الله تعالى إليه يا آدم : إرفع رأسك وانظر إليهم ، فرفع رأسه إلى السماء فنظر إلى الملائكة وهم يرقصون حول العرش ، جبرائيل رأسهم ، وإسرافيل قواهم ، فلما رآهم سكن روعه وأنيته. وقيل في تفسير قوله تعالى : (فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ) أي يسمعون. هذا أساس مقاصد العارفين في السماع والتواجد ، وهذا العطاء ما هو بالرقص المحرم كما يزعم بعض الجهلاء من ممقوتي الفقراء ، هذا العطاء يحصل لرجل يملك خاطره ولا يجول بقلبه وسواس ، ولا يلتفت إلى عرض من أعراض الأكوان ، ولا يقصد إلا الله جلت عظمتة ، ومن كان ملطخا بأوساخ الوسواس وأدناس الطبع ، عليه أن يذكر الله محافظا على أدب القول والحركة ما أمكن، وأن لا يخوض بحر الدعوى الكاذبة ويدعي منزلة القوم ، ألم يعلم بأن الله يرى؟ والله غيور وبهذا القدر كفاية.

أي سادة

كونوا مع الشرع في آدابكم كلها ظاهرا وباطنا ، فإن من كان مع الشرع ظاهرا وباطنا كان الله حظه ونصيبه ، ومن كان الله حظه ونصيبه ، كان من أهل مقعد صدق عند مليك مقتدر.

أي سادة

منكم الفقهاء والعلماء أيضا ، ولكم مجالس وعظ ودروس تقرأونها ، وأحكام شرعية تذكرونها وتعلمونها الناس ، إياكم أن تكونوا كالمنخل يُخْرِجُ الدقيق الطيب

ويعمسك لنفسه النخالة ، وأنتم كذلك تخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقي الغلُّ في قلوبكم، تُطالَبون حينئذٍ بقوله تعالى (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) .

إذا أحب الله عبدا جعل في قلبه الرأفة والشفقة لسائر المخلوقات ، وعَوَّدَ كَفَّهُ السخاء ، وَقَلَّبَهُ الرأفة ، ونفسه السماحة ، وبصره بعيوب نفسه حتي يستصغرها ولا يراها شيئا ، العارف حزين إذا فرح الناس ، كئيب من غير يأس ، فرحه قليل ، وبكاؤه طويل ، مطلوبه محبوبه ، وهمه عيوبه وذنوبه.

الناس في العيد قد سُروا وقد فرحوا وماسررت به والواحد الصمد لما تيقنت أني لا أعينكم أغمضت عيني ولم أنظر إلى أحد بذلت نفسي ، ولم أترك طريقا إلا سلكته وعرفت صحته بصدق النية والمجاهدة ، فلم أجد أقرب وأوضح وأحب من العمل بالسنة المحمدية ، والتخلق بخلق أهل الذل والانكسار، والحيرة والافتقار ، كان الصديق الأكبر أبوبكر رضي الله عنه يقول الحمد لله الذي لم يجعل الوصول إليه إلا بالعجز ، والعجز عن درك الإدراك إدراك ، روي أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : ياموسى إئتني بما ليس في خزائني فقال موسى يارب أنت رب العالمين، وأي شيء نقصت خزائنك؟ فقال الله يا موسى إن خزائني مملوءة كبرياء وعزا وجلالا وجبروتا ، ولكن ائتني بالذل والانكسار والمسكنة ، فأنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي ، ياموسى ماتقرب المتقربون إلي بأعظم من ذلك.

أي سادة

من الخشية تكون المحاسبة ، ومن المحاسبة تكون المراقبة ، ومن المراقبة يكون دوام الشغل بالله ، فإن أغبط الناس في زماننا مؤمن عرف زمانه ، وحفظ لسانه ، ولزم شأنه ، وكان من الصالحين ، قلت لسيدي عبدالملك الحبروتي⁴ قدس الله سره : أوصني قال لي : يا أحمد ، ملتفتٌ لا يصل ، ومتشككٌ لا يُفلح ، ومن لم يعرف من نفسه النقصان فكل أوقاته نقصان ، فبقيت سنة أردد وصية الشيخ ، وما يخطر لي خاطر إلا أذكرها فيزول عني ، ثم زرتة في السنة الأخرى ، ولما أردت الخروج من عنده قلت له : أي سيدي ، أوصني فقال لي : يا أحمد ، ما أقبح العلة بالأطباء ، والجهل بالألباء ، والجفاء بالأحباء ، فخرجت من عنده وصرت أرددها سنة على نفسي ، وانتفعت به وبوصيته. العالم العارف

⁴ اختلف تنقيط (الحبروتي) في الطبقات المتداولة وورد كما أثبتناه في مخطوطة (لتريق المحبين).

عظيم السياسة لنفسه بالمخافة من الله ، والمراقبة له ، وإذا أراد أن يتكلم بكلام اعتبره قبل أن يخرج من فيه ، فإن رأى فيه صلاحاً أخرجه ، وإلا ضم فمّه عليه ، لما جاءت به الروايات : لسانك أسدك ، ان حرسه حرسك ، وإن أطلقتته افترسك⁵ ، العارف كلامه ينقي الصدا ، وصمته يصرف الردى ، يأمر بالمعروف لأهله ، وينهى عن المنكر وفعله ، قال تعالى (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ) ، من عرف الله زاد أدبه معه ، من تقرب إلى الله ، عظم خوفه من الله.

أخبرني القاضي المقرئ الإمام الصالح سيدي علي أبو الفضل الواسطي بسنده إلى الخطيب البغدادي ، بسلسله إلى أبي الجارود العيسي : أن جابر ابن عبدالله رضي الله عنه وعنهم أجمعين قال : بلغني حديث في القصص ، وكان صاحب الحديث بمصر فاشتريت بعيراً ، وشددت عليه رَحْلاً ، ثم سرت شهراً حتى وردت مصر فسألت عن صاحب الحديث ، فدللت عليه فإذا هو بباب لاط فقرعت الباب ، فخرج إليّ مملوك أسود فقلت : هل هنا أبوفلان ؟ فسكت عني ، فدخل فقال لمولاه : بالباب أعرابي يطلبك ، فقال : إذهب إليه فقل له : من أنت ؟ فقلت : أنا جابر بن عبدالله صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فخرج إليّ فرحب بي ، وأخذ بيدي ، ثم قال لي : من أين ؟ أمن أهل العراق ؟ قلت : نعم ، بلغني حديث في القصص ، ولا أعلم أحداً ممن بقي أحفظ له منك ، فقال : أجل ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله يبعثكم يوم القيامة حفاة عراة غرلاً ، وهو عز وجل قائم على عرشه ينادي بصوت له رفيع غير فظيع ، يُسمع البعيد كما يُسمع القريب ، يقول : أنا الديان لا ظلم عندي ، وعزتي وجلالي لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم ولو بلطمة كف ، ولو بضربة يد على يد ، ولأقتصن للعجفاء من القرناء ، ولأسألن الحجر لم نكب الحجر ؟ ولأسألن العود لم خرش صاحبه ؟ في ذلك أنزل عليّ ، يعني في كتاب الله (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أخوف ما أخاف على أمتي من بعدي عمل قوم لوط ، ألا فلتترقب أمتي العذاب إذا كافأ الرجال بالرجال والنساء بالنساء).

⁵ في بعض النسخ (رفسك) ! وهو خطأ مطبعي ظاهر.

هذا الحديث أظهر ما لله من العدل بإثبات القصاص فيمن ليس بمكلف كالبهائم وغيرها ، وأطلق القول عليه عز وجل بالقيام على العرش يوم القيامة من غير تكيف ولا تمثيل ، وأثبت الوعيد في اللواط والسحاق ، العلم لا يُكْتَمُ ، والحق يقال ، والشارع روعي الفداء لقبره المبارك، أوضح لنا مالنا وما علينا تماما ، فالناجي من آمن به واتبع أمره، والحذر والهلاك لمن خالفه ، بَلَّغَ كما أمر ، وما بقي لنا عليه حجة ، وهو صلى الله عليه وسلم صاحب الحجة القائمة على كل مُكَلَّفٍ ، وبه قامت حجة الله على خلقه ، هكذا قضى سبحانه وتعالى ، وقال : (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) (وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا).

أي سادة

من أحب الله عَلَّمَ نفسه التواضع ، وقطع عنها علائق الدنيا ، وآثر الله تعالى في جميع أحواله ، واشتغل بذكره ، ولم يترك لنفسه رغبة فيما سوى الله تعالى ، وقام بعبادته بحقائق الأسرار ، وخلع المناير والأسرة تواضعا لله ، وإن كانت يده طائلة إلى مثل ذلك ، وكان كمن قيل فيه :

ترك المناير والسرير تواضعا وله منابر لو يشا وسرير
ولغيره يُجْجِي الخراج وإنما يُجْجِي إليه محامد وأجور

أي سادة

العبدية حَقُّها الانقطاع عن غير السيد بالكلية ، العبدية ترك كل كلية وجزئية ، العبدية رد القصد عن طلب كل مزية ، العبدية عدم رؤية العبد لنفسه على إخوانه رفعة أو فوقية ، العبدية الوقوف عند ما حد للطينة الآدمية ، العبدية الخشية والخضوع تحت مجاري الأقدار الربانية ، لا يكون العبد عبدا كاملا حتي يصل إلى مرتبة الحرية ، ويتخلص من رق الأغيار بالكلية.

أي سادة

لا تتخذوني دفة المكديّة ، لا تجعلوا رواقى حرما ، وقبري بعد موتي صنما ، دعوت الله أن يجعلني منفردا إليه في الدنيا فحصل مع الجمعية ، وعساني أصل إلى هذا المقصد إذا فارقت هذه الدنيا ، إن صحت الجمعية مع الله فالكل هين.

إذا صح منك الوصل فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب
عليكم به سبحانه، وحقه لا يضر وينفع ويصل ويقطع ويفرق ويجمع ويعطي ويمنع
إلا هو ، الوسائل إليه لا تُنكرُ ، والوسائل لا تكفر ، وإنما المادة الكبرى كلمة تقولها
وتصل ، وهي آمنت بالله ، فإذا آمنت به آمنت بكتابه وبرسوله ، وبكل ما جاء به رسوله
صلى الله عليه وسلم ، وعملت بقوله تعالى (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ
فَانْتَهُوا) ، وعظمت الوسائل والوسائل التي تدلك على الله ، ووحدت الله ، ووقفت على
الباب بسائح الدموع ، ولثمت الأرض بالذل والخضوع ، وعرفت إلى أين المصير
والرجوع ، وتهيأت لما يليق بمقام الملاقاة ، وأخلصت في أعمالك كلها ، فصرت
إخلاصا خالصا ، وبعدها تليق لك المراتب ، وتسح عليك سحب المواهب ، وتعود عليك
عوائد الكرم ، وتُمدُّ لك موائد النعم ، وتنشر شبكة عرفانك على الخلق حتي لا تُبقي ولا
تذر ، وتصل دعوة نيابتك إلى الظهور والبطون بإذن الله.

أي سادة

عظموا شأن الفقهاء والعلماء كتعظيمكم شأن الأولياء والعرفاء ، فإن الطريق
واحد، وهؤلاء ورث ظاهر الشريعة ، وحملة أحكامها الذين يعلمونها الناس ، وبها يصل
الواصلون إلى الله ، إذ لا فائدة بالسعي والعمل على الطريق المغاير للشرع ، ولو عبد الله
العابد خمسمائة عام بطريقة غير شرعية فعبادته راجعة إليه ، ووزره عليه ، ولا يقيم له الله
يوم القيامة وزنا ، وركعتان من فقيه في دينه أفضل عند الله من ألفي ركعة من فقير جاهل
في دينه ، فإياكم وإهمال حقوق العلماء ، وعليكم بحسن الظن بهم جميعا ، وأما أهل
التقوى منهم ، العاملون بما علمهم الله ، فهم الأولياء على الحقيقة ، فلتكن حرمتهم
عندكم محفوظة ، قال عليه الصلاة والسلام (من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم)
وقال صلى الله عليه وسلم : (العلماء ورثة الأنبياء) الحديث. هم سادات الناس ،
وأشراف الخلق ، والدالون على طريق الحق ، لا تقولوا كما يقول بعض المتصوفة نحن أهل
الباطن وهم أهل الظاهر ، هذا الدين الجامع باطنه لب ظاهره ، وظاهره ظرف باطنه ،
لولا الظاهر لما بطن ، لولا الظاهر لما كان الباطن ولما صح ، القلب لا يقوم بلا جسد ،
بل لولا الجسد لفسد ، والقلب نور الجسد ، هذا العلم الذي سماه بعضهم بعلم الباطن هو

إصلاح القلب ، فالأولى عمل بالأركان وتصديق بالجنان ، إذا انفرد قلبك بحسن نيته ، وطهارة طويته ، وقتلت وسرقت وزنت ، وأكلت الربا ، وشربت الخمر ، وكذبت وتكبرت وأغلظت القول ، فما الفائدة من نيتك وطهارة قلبك ؟ وإذا عبدت الله وتعففت ، وصمت وصدقت وتواضعت وأبطن قلبك الرياء والفساد ، فما الفائدة من عملك ؟ فإذا تعين لك أن الباطن لب الظاهر ، والظاهر ظرف الباطن ، ولا فرق بينهما ، ولا غني ل كليهما عن الآخر ، فقل نحن من أهل الظاهر وكأنك قلت ومن أهل الباطن، قل نحن من أهل ظاهر الشرع وقد ذكرت باطن الحقيقة ، أي حالة باطنة للقوم لم يأمر ظاهر الشرع بعملها ؟ أي حالة ظاهرة لم يأمر ظاهر الشرع بإصلاح الباطن لها ؟ لا تعملوا بالفرق والتفريق بين الظاهر والباطن ، فإن ذلك زيف وبدعة ، لا تهملوا حقوق العلماء والفقهاء ، فإن ذلك جهل وحمق ، لاتأخذوا بحلاوة العلم وتبطلوا مرارة العمل ، فإن تلك الحلاوة لا تنفع بغير تلك المرارة ، وإن تلك المرارة تنتج الحلاوة الأبدية (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا)، نص قرآني يشهد لكم بالمكافأة على الأعمال والإخلاص ، أن يكون العمل لله لا لدنيا ولا لآخرة ، مع حسن الظن به سبحانه وتعالى في كل حال من الأحوال، وعمل من الأعمال وقول من الأقوال ، إيماننا به ، وامثالاً لأمره ، وطلباً لمرضاته.

أي سادة

تقولون قال الحارث ، قال أبويزيد ، قال الحلاج ، ما هذا الحال ، قبل هذه الكلمات قولوا قال الشافعي ، قال مالك ، قال أحمد ، قال نعمان. صححوا المعاملات البينية وبعدها تفكها بالمقولات الزائدة. قال الحارث وأبويزيد لا ينقص ولا يزيد ، وقال الشافعي ومالك أنجح الطرق وأقرب المسالك ، شيدوا دعائم الشريعة بالعلم والعمل، وبعدها ارفعوا الهمة للغوامض من أحكام العلم وحكم العمل ، مجلس علم أفضل من عبادة سبعين سنة ، أي من العبادات الزائدة عن المفروضات التي يتعبد الرجل بها بغير علم، (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) ، (أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ) ، أشياخ الطريقة وفرسان ميادين الحقيقة يقولون لكم خذوا بأذيال العلماء ، لا أقول لكم تفلسفوا ، ولكن أقول لكم تفقهوا ، (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين).

ما اتخذ الله من ولي جاهل ، ولو اتخذ له لعلمه ، الولي لا يكون جاهلا في فقه دينه ، يعرف كيف يصلي ، كيف يصوم ، كيف يزكي ، كيف يحج ، كيف يذكر ، يُتقن علم المعاملة مع الله ، فمثل هذا الرجل وإن كان أميا فهو عالم ، ولا يقال له جاهل إلا من جهل العلم المقصود ، ليس العلم علم البديع والبيان والأدب الذي عناه الشعراء ، والجدل والمناظرة ، العلم المختصر علم ما أمر الله به ونهى عنه ، والعلم الجامع الأتم علم التفسير والحديث والفقه . والفنون اللفظية والقواعد النظرية التي وضعت وسمها واضعوها علومها هي فنون تدخل تحت قول القائل العلم بالشيء ولا الجهل به .

صموا أسماعكم عن علم الوحدة وعلم الفلسفة وما شاكلهما ، فإن هذه العلوم مزلق الأقدام إلى النار ، حمانا الله وإياكم ، الظاهر الظاهر ، اللهم إيماننا كإيمان العجائز (قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ).

لا تقطعوا الوصلة مع العلماء ، جالسوهم ، خذوا عنهم ، لا تقولوا فلان غير عامل ، خذوا من علمه واعملوا به ، ودعوه وعمله إلى الله ، الأولياء رضي الله عنهم يأخذون الحكمة ، لا يُبالون من أي لسان ظهرت ، وعلى أي حجر كتبت ، وبواسطة أي كافر وصلت ، (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ). الأولياء قناطر الخلق ، يعبر الموفقون عليهم إلى الله تعالى ، أولئك هم العاملون ، المخلصون الخالصون ، استخلصهم تعالى لعبادته ، وقربهم من حضرته ، فما حجب قلوبهم حجاب الغين طرفة عين ، أخرجوا البين من البين ، أقاموا طلاس الكتم على الأسرار ، وقاموا الليل وصاموا النهار ، بعضهم غلب عليه الفكر ، وبعضهم غلب عليه الذكر ، وبعضهم جمع شتات الأمر ، (رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ). أوصيكم كل الوصية بعد علم واجبات الدين بصحتهم ، فإنها ترياق مجرب ، عندهم رأس الأمر كله ، عندهم الصدق والصفاء ، والدوق والوفاء ، والتجرد من الدنيا والتجرد من الآخري ، والتجرد إلى المولى ، وهذه الخصال لا تحصل بالقراءة والدرس والمجالس ، لا تحصل إلا بصحبة الشيخ العارف الذي يجمع بين الحال والمقال ، يدل بمقاله ، وينهض بحاله ، أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده .

حالة الشيخ كمالات كانت أو نقصانا ، تظهر في أتباعه ومريديه بطنا بعد بطن ، فإن كانت حالة كمال ، علا بها حال الكامل ، وزاد بها حال الناقص ، وإن كانت حالة نقص ، نقص بها حال الكامل ، وذهب بها حال الناقص ، إلا إن وهب الكريم فلا تأثير للأحوال ، إياكم وإبقاء أثر يُنْقِصُ حال كُمل أتباعكم ، ويذهب حال ناقصهم ، الرجل من تظهر آثاره بعده.

قال الرجال :

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

اتركوا بعدكم أثر الذل والانكسار ، والتجرد من الدعوى ، والخروج من حيلة الاستعلاء ، والتذل بباب المولى ، ومحبة الفقراء والعلماء ، وموافقة الأقدار بالتسليم إلى الله ، والتمسك بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإياكم والغرة بالوقت ، فما هو عند العارف بشيء ، إلا إذا لم يصرفه في غير الطاعة ، ويأخذ منه ما يثلج صدره ، أجل: من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

مابقي من قوم سليمان عليه السلام أحد: ذهب ملكه ، ونسخت شريعته ، ونبينا عليه أفضل الصلاة والسلام لا يذهب شأنه ، ولا تنسخ شريعته بإذن الله ، (إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْمِيْعَادَ) ، وصف سليمان نازعه وصف الملك الديان ، فطمسه (لَمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) ، ووصف النبي صلى الله عليه وسلم لما كان العبدية ، أعانه وصف الربوبية ، فدام ذكره وعلا أمره ، (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) ، وقد ترون أن الملوك وذراريهم وحواشهم تذهب ، ورسومهم تنقلب ، والرعية على حالها ، هؤلاء نازعتهم صفة الربوبية لما رأوا الملكية فزالوا ، وهؤلاء صانتهم صفة الربوبية لما تحققوا بمنزلة المملوكية فداموا ، قال سيدي الشيخ منصور : صحيفة حال الشيخ أتباعه ، لهم من حاله وخلقه سمة ، لا بد أن تفعل كيف كانت ، إلا إذا غلبها حال سماوي اختص به التابع فرما يعلو منزلة شيخه ، ذلك الفضل من الله يؤتاه من يشاء ، تري في أصحاب الحلاج حب القول بالوحدة ، تري في أصحاب أبي يزيد رضي الله عنه حب الإغماض والتكلم بالرقائق ، تري في أصحاب الجنيد رضي الله عنه حب الجمع بين لسان الطريقة

والشريعة ، تري في أصحاب السلماباذي حب المعالي لما كان عليه من المنزلة ، ترى في أصحاب سيدي الشيخ أبي الفضل حب الوحدة إلى الله بالذل لله وللخلق ، وقد تنعكس هذه القاعدة في البعض ، ولكن يكون ذلك بالاختصاص (وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ).

معروف الكرخي وداود الطائي والحسن البصري ومن تأدب بصحبتهم من هذه الطائفة رضي الله عنهم ، اختصروا أسباب السير على كلمتين : التمسك بالشرع ، وطلب الحق وحده ، هذه الشريعة أمامك.

أي أخي

أنظر كيف كان نبيك عليه أفضل الصلوات والتسليمات ؟ وكيف قال ؟ وكيف خالق الناس برا وفاجرا ؟ واعمل بعمله ، وقل بقوله وتخلق بخلقك صلى الله عليه وسلم ، إن كنت لا تعلم فاسأل العلماء ، قال تعالى (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ، يتحدث القوم بالنعم اعترافا بنعمة المنعم ، وشكرا لها ، وحثا للناس على العمل ، لتحصل لهم هذه البركة ، قال تعالى (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) ، يقول المتحدث بالنعمة : أطلعني ربي على كذا وعلمي كذا ، ووهبني من الخير والبركة كذا ، ولكن لا يقول : أنا خير منكم ، أنا أجل منكم ، أنا أشرف منكم ، هذه كلمات دعوى ، تكون من رعونه النفس ، ينطق بها لسان الأحمق ، ما الذي خيرني عليك ؟ وأجلني وشرفني؟ صلاة وصوم وغيرها من العبادات ؟ لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، لولا امتثال قوله تعالى (وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) ، لخاط العاقل فمه بمخيط.

أي أخي

تفتخر بأبيك؟ آدم عليه السلام، الصفوة الأولى ، كفر أكثر أولاده ، وكذلك أكثر أولاد الأنبياء والمرسلين ، تفتخر بعلمك : إبليس حل كل عويص ، حل وقرأ صحاف الموجودات، تفتخر بمالك : قارون هلك بماله ، تفتخر بملكك : لم يغن ملك فرعون عنه من الله شيئا ، ماهلك إبراهيم عليه السلام بعد أن تجرد إلى ربه ، ما ذل موسى عليه السلام بعد أن فرش بساط ذله بين يدي خالقه ، ماضاع شأن يونس عليه السلام بعد أن قال بصدق الالتجاء (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ) ، ماخاب يوسف عليه السلام بعد أن

استسلم لقضائه معتمدا عليه ، هكذا النبيون هكذا المرسلون ، هكذا الصديقون ، هكذا الصالحون (لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ).

أي أخي

أين أنت ؟ في أي وادٍ تهيم؟ في وادي وهمك ؟ تسرح في ميادين قطيعتك ، الله الله بك أحرص عليك ، والله إن تنقطع أخاف عليك أن تُخَذَلَ ، اللهم إني أعوذ بك من القطع بعد الوصل. يا أخي لا تحرد مني ، إذا انقطعت وأنت تظن الوصل ، ورأيت أنك عالم وأنت على طائفة من الجهل فقد فاتك السوم ، وسبقك القوم ، وعمك اللوم ، لا أقول لكم انقطعوا عن الأسباب ، عن التجارة ، عن الصنعة ، ولكن أقول انقطعوا عن الغفلة والحرام في كل ذلك ، لا أقول لكم أهملوا الأهل ولا تلبسوا الثوب الحسن ، ولكن أقول لكم إياكم والاشتغال بالأهل عن الله ، وإياكم بالزهو بالثوب على الفقراء من خلق الله ، ولا أقول لكم لا تُظهروا الزينة ، ولكن أقول لكم لا تُظهروا الزينة فوق ما يلزم بشياكم ، تنكسر قلوب الفقراء من خلق الله ، وأخاف أن يخالطكم العُجْبُ والغفلة ، وأقول نقوا ثيابكم ، (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) ، وأقول نقوا قلوبكم وطهروها فذلك أولى من تنقية الثياب ، إن الله لا ينظر إلى ثيابكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم ، وكذلك أو مثل ذلك قال لنا سيدنا عليه أفضل الصلوات والتسليمات. حاربوا الشيطان ببعضكم ، بنصيحة بعضكم ، بخُلُقِ بَعْضِكُمْ ، بحال بعضكم ، بقال بعضكم.

قال تعالى (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) ، وقال تعالى (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) ، يقاتلون الشيطان والنفس وعدو الله ، يقاتلون الشيطان كي لا يقطعهم عن الله ، يقاتلون النفس كي لا تشغلهم بشهواتها الدنية عن عبادة الله ، يقاتلون عدو الله لاعلاء كلمة الله ونشر علم الدلالة على الله ، (أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

عظموا شأن العلم تعظيما يقوم بواجباته ، لأنه دَرَكُ حقائق الأشياء ، مسموعاً ومنقولاً.

أعطوا الإيمان حقه ، فهو إقرار باللسان واعتقاد بالجنان .
 إلزموا حكم الإسلام ، فهو متابعة الشريعة والإعراض عن الطبيعة .
 تحققوا بالمعرفة ، فهي أن تعرفوا الله بالوحدانية .
 طهروا النية ، فهي الخطرة في القلب فلا يطلع عليها أحد غير الله .
 أتقنوا الأدب ، فهو وضع الشيء موضعه .
 أوجزوا الموعظة ، فهي إرشاد أصحاب الغفلات .
 أبلغوا بالنصيحة ، فهي الاطلاع على حفظ طريق الزهد .
 اصدقوا في المحبة ، فهي نسيان ماسوي المحبوب .
 أكملوا الأدب في الدعاء ، فهو رفع الحاجات إلى رفيع الدرجات .
 شيدوا منار التصوف ، فهو ترك الاختيار .
 أتقنوا طريق العبودية ، فهي ترك الدنيا وترك الدعوى واحتمال البلوى وحب المولى .

مهدوا سبيل القرب ، فهو الانقطاع عن كل شيء سوى الله .
 تحققوا بالصدق ، فهو موافقة السر العلانية .
 عظموا قدر نعمة العافية ، فهي نفس بلا بلاء ، ورزق بلا عناء ، وعمل بلا رياء .
 قفوا عند حد الاستقامة ، فهي ألا تختار⁶ على الله شيء .
 تحروا الحلال ، فهو الذي لا يُضَيِّمُ⁷ أكله في الدنيا ، ولا يُؤَاخِذُ لأجله في الآخرة .
 سددوا منهاج الطاعة ، فهي طلب رضا الله في الأقوال والأفعال والأحوال .
 خذوا بعروة الصبر ، فهو إيقاف القلب عند حكم الرب .
 طهروا العزلة والخلوة ، فهما التبعاد عن أبناء الدنيا ، بترك الطمع وهجر اختلاط الناس قلبا ، وإن كان المرء بينهم بشخصه .
 ألا إن الولي من ولى وجهه عن النفس والشيطان والدنيا والهوى ، وولى وجهه وقلبه إلى المولى ، وأعرض عن الآخرة والأولى ، ولم يطلب إلا الله تعالى ، وإن القانع من رضي بالقسمة ، واكتفى بالبلغة .

⁶ في بعض النسخ (يختار).

⁷ في بعض النسخ (يضمئه) ولا يستقيم المعنى إلا بمثل ما أثبتناه.

وأحذرکم أوصافاً وخصالاً ، إياکم إياکم والاتصاف بشيء منها ، فإنها السم الناقع. أوصيکم بتقوى الله والتباعد عن الخصال المذكورة وهي:

الحسد وهو إرادة زوال نعم المحسود،

والکبر وهو أن يرى المرء نفسه خيراً من غيره،

والکذب وهو اختلاق كلام على خلاف الواقع، وهو قول قبيح عار عن صفة المنفعة ،

والغيبة وهي بيان خبث البشرية ،

والحرص وهو عدم الشبع من الدنيا ،

والغضب وهو غليان الدم لإرادة الانتقام ،

والرياء وهو الاستبشار برؤية الأغيار،

والظلم وهو متابعة النفس على ماتشتيهيه ،

وأقول لکم ، كونوا دائماً بين الخوف والرجاء ، فـ **الخوف** ، أن يخاف القلب من الله لما علم من ذنوبه ، والرجاء ، سكون الفؤاد بحسن الوعد ، وأدبوا تصفية الروح بالرياضة، وهي استبدال الحالة المذمومة بالحالة المحمودة.

إجعلوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنکر دينکم، (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ). من أمر بالمعروف ونهي عن المنکر فهو خليفة الله في أرضه ، وخليفة رسوله ، وخليفة كتابه ، كذا أخبرنا الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة والسلام ، وقال علي أمير المؤمنين عليه السلام ، أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنکر . ومن شأن الفاسقين، وغضب الله ، وجاهد في الله ، ولم يتبع غير الاسلام دينا ، غفر الله له، مثل رجال السنة رضي الله عنهم وحال المداهن في حدود الله تعالى والواقع فيها مثل قوم في سفينة، صار بعضهم في أسفلها ، وصار بعضهم في أعلاها ، فقام رجل بيده فأس ينقر أسفل السفينة ، فأتوه فقالوا : مالك ؟ فقال :لابد لي من الماء فإن أخذوا عليه ومنعوه، أنجوه وأنجوا أنفسهم ، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم ، جاء في الخبر (ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده).

وكان سفيان الثوري رضي الله عنه يقول : إذا كان الرجل محببا في جيرانه ، محمودا عند إخوانه فاعلم أنه مداهن ، أجل ، ومن شاهد منكرا ولم ينكره وسكت عنه فهو شريك فيه ، والمستمع شريك المغتاب ، وتجري في هذه جميع المعاصي المنبه عليها شرعا ، ألا إن من خالط الناس كثرت معاصيه ، وإن كان تقيا في نفسه إلا أن يترك المداينة ولا تأخذه في الله لومة لائم ، ويشغل بالحسبة والمنع.

وأصل الحسبة الشرعية شيئان : أحدهما اللطف والرفق ، والبداية بالوعظ على سبيل اللين ، لا على سبيل العنف والترفع ، فإن ذلك يؤكد داعية النفس ويحمل العاصي على المناكرة والإيذاء ، وإذا كان الواعظ فظا سيء الخلق لاسيما له لحمقه على دفع المناكرة ، يغضب لنفسه ويترك الإنكار لله عز وجل ، ويشغل بشفاء غليله من الموعوظ ، فيصير بذلك عاصيا. جاء في الخبر (لا يأمر بالمعروف ولا ينهي عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به، رفيق فيما ينهي عنه ، حكيم فيما يأمر به ، حكيم فيما ينهي عنه) وبلغنا أن أحد الوعاظ وعظ المأمون العباسي رحمه الله ، وأغلظ عليه وعنفه فقال : يارجل إرفق ، فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني ، فأمره بالرفق فيه بقوله تعالى : (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى).

أي سادة

أقول لكم : مَنْ الله علي فتخلقت بما أمرتكم به وحشتكم عليه ، ولكن من البر أن لا تطلبوا هذا الشرط من واعظ أو ناصح ، ولا تُظفروا الشيطان بكم بهذه الخصلة فتقولوا : لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ، ولا ننهي عن المنكر حتى نجتنبه كله ، إن هذا يؤدي إلى حسم باب الحسبة ، فمن ذا الذي يعصم من المعاصي ؟ مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله ، وانفوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله ، كذا أمرنا نبينا عليه أكرم وأفضل صلاة الله وسلامه ، وأقول لكم : مفتاح السعادة الأبدية الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع مصادره وموارده ، وهيئته ، وأكله وشربه ، وقعوده وقيامه ، ونومه وكلامه ، حتي يصح لكم الاتباع المطلق.

بلغنا عن بعض الأئمة أنه ما أكل البطيخ لأنه لم يُنقل له كيف أكله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسها بعضهم فابتدأ في لبس الخف باليسري فكفر عن ذلك بشيء

من الحنطة ، وإياكم أن تقولوا هذه الخصال من الأمور التي تتعلق بالعبادات فتهملوها ، فإن إهمالها يغلق بابا عظيما من أبواب السعادة ، وأما العبادات فلا أعرف لعدم اتباعه عليه الصلاة والسلام فيها من عذر إلا أن يحصل ذلك من كفر خفي ، أو حمق جلي ، حمانا الله وإياكم.

أي سادة

والله ما أظن أن على بساط الغبراء صاحب عقل يميز فيه بين الخبيث والطيب ، إلا ويعتقد قلبه ويدعن لبه أن العبادة التي شرعها الحبيب عليه أفضل صلاة الله وسلامه ، والعبادة التي كان عليها هي الحالة المرضية عند الرب والخلق ، وهي الآداب المقبولة عند الخالق والمحبوبة عند المخلوقين ، وبها يطمئن القلب ، ويسكن الروح ، أي فرق لا يدركه العقل من حال المخمور والصاحي ، ومن حال السارق والأمين ، ومن حال الكاذب والصادق ، ومن حال الزاني والعفيف ، ومن حال المتكبر والمتواضع ، ومن حال البخيل والسخي ، ومن حال الظالم والعاقل ، ومن حال المبطل والمحق ، ومن حال المغتاب والبريء ، ومن حال الغادر والرحيم ، ومن حال العابد والنائم ، ومن حال الغافل والمتفكر ، ومن حال الفاجر والبر ، ومن حال الكافر والمؤمن ، إن في ذلك لآيات لأولي الأبصار. الله الله بالمتابعة الحضة لهذا الرسول العظيم ، الذي جاء رحمة للعالمين ، وحجة على المخلوقين ، ونعمة للموحدين.

إياكم ونسيان الموت ، فإنه ينتج من الغفلة ، وهي من قلة ذكر الله ، وذلك من قلة الإيمان ، وأُمُّ ذلك الجهل ، وهو من الضلال ، جاء في بعض الكتب الإلهية : أن الحق تعالت ذاته يقول : يا ابن آدم : بعافيتي قويت على طاعتي ، وبتوفيقي أدت فريضتي ، وبرزقي قويت على معصيتي ، وبمشتتي تشاء ما تشاء لنفسك ، وبنعمتي قمت وقعدت ورجعت ، وفي كنفي أمسيت وأصبحت ، وفي فضلي عشت ، وفي نعمتي تقلبت ، وبعافيتي تجملت ، تنساني وتذكر غيري ، ولم تؤد شكري ، يا ابن آدم : الموت يكشف أسرارك ، والقيامة تتلو أخبارك ، والعذاب يهتك أستارك ، إذا أذنبت ذنبا صغيرا فلا تنظر إلى صغره ، ولكن انظر إلى من عصيت ، وإذا رزقت رزقا قليلا فلا تنظر إلى قلته ، ولكن انظر إلى من رزقك ، ولا تحقر الذنب الصغير ، فإنك لا تدري بأي ذنب عصيتني ، ولا

تأمن مكري ، فإن مكري أخفي عليك من ديب النملة على الصخرة في الليلة المظلمة ، يا ابن آدم ، هل عصيتني فذكرت غضبي فانتهيت ؟ وهل أدبت فريضي كما أمرتك ؟ وهل واسيت المساكين من مالك؟ وهل أحسنت إلى من أساء إليك ؟ وهل غفرت لمن ظلمك ؟ وهل وصلت من قطعك ؟ وهل أنصفت من خانك ؟ وهل كلمت من هجرك ؟ وهل أدبت ولدك ؟ وهل أرضيت جيرانك ؟ وهل سألت العلماء عن أمر دينك ودنياك ؟ فأني لا أنظر معاشر الآدمين إلى صوركم ، ولا إلى محاسنكم وأحسابكم وأنسابكم ، ولكن أنظر إلى قلوبكم ، وأرضى بهذه الخصال عنكم.

أي سادة

هذه أمور تنكشف يوم القيامة ، يوم التغابن ، يوم الحاقة ، يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ، يوم الطامة ، يوم الصيحة ، يوم تشيب الولدان ، يوم الزلزلة ، يوم القارعة ، يوم يُنسفُ الجبالُ ، (يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ، وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ).

أي سادة

جالسوا العلماء والعرفاء ، فإن للمجالسة أسراراً تقلبُ الجلَّاسَ من حال إلى حال. ورد في السنة : من جلس مع ثمانية أصناف زاده الله ثمانية أشياء :

من جلس مع الأمراء زاده الله الكِبَرُ وقساوة القلب.

ومن جلس مع الأغنياء زاده الله الحرص في الدنيا وما فيها.

ومن جلس مع الفقراء زاده الله الرضا بما قسمه الله تعالى.

ومن جلس مع الصبيان زاده الله اللهو واللعب.

ومن جلس مع النساء زاده الله الجهل والشهوة.

ومن جلس مع الصالحين زاده الله الرغبة في الطاعة.

ومن جلس مع العلماء زاده الله العلم والورع.

ومن جلس مع الفساق زاده الله الذنب وتسويق التوبة.

وورد أيضا : الصحبة مع العاقل زيادة في الدين والدنيا والآخرة ، والصحبة مع الأحمق نقصان في الدين والدنيا ، وحسرة وندامة عند الموت ، وخسارة في الآخرة.

أي سادة

ثلاثة لهم شفاعة - العالم - والخادم - والفقير الصابر.

أي سادة

خذوا كل وارد غيبي وحادث سماوي بالبشر والرحب ، وكونوا راضين عن الله ، قوموا بقضاء حوائج خلق الله ما استطعتم ، فإن من قضي لأخيه المؤمن حاجة في الدنيا قضي الله له سبعين حاجة في الآخرة ، ارحموا عزيز قوم ذل ، وغني قوم افتقر ، أكثروا من الصدقة ، فإن الله يرفع بسببها البلاء ، أكرموا الضيفان ، فإن ذلك كان من عبادته صلى الله عليه وسلم قبل أن يُكَلَّف ، خالقوا الناس بخلق حسن ، فإن الخلق الحسن أفضل الأعمال ، يقال إذا لم تسع الناس بمالك فسع الناس بخلقك ، أحسن الحسن الخلق الحسن ، يبلغ صاحب الخلق الحسن رتبة الصائم القائم وهو على فراشه نائم ، لأن ذلك بعد المفروضات أفضل ما يُتَقَرَّب به إلى الله تعالى ، إيش تنفع عبادتك وأنت مشمئز ؟ كأنك تَمُنُّ بها على الله يامسكين ، إن الله غني عن العالمين ، إذا عبدت الله فاعبد الله عاكفا على بابه ، واقعا على أعتابه ، خاضعا لسلطنته ، مقشعرا من هيئته ، معترفا بعجزك عن أداء واجباته ، متجردا من رؤية نفسك وعملك وغير ذلك ، قارعا باب عزته وجلاله بأكف ذلك واحتقارك ، وحينئذ يُرجي لك القبول. طهر لسانك من لوث الكلام فيما لا يعينك ، كي يُرفع كلامك إلى حظيرة قدسه ، إلى الحضرة السماوية العرشية ، التي جعلها جهة الطلب ، كما جعل الكعبة في الأرض جهة العبودية ، (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) ، إلى الجهة التي صرف إليها همه خلقه ، إلى محل تنزلات أمره ، ليأتيك أمره وكرمه ولطفه من العلو، فتخضع دونه ، وتترك حقيرا سافلا ، والأسرار القرآنية واضحة المفاد بهذا المعنى ، قال تعالى (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) وقال تعالت أسماؤه (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) ، كن حاذقا.

أي ولدي

إذا سمعت كلام أهل الحضرة فإنه ظاهر غامض ، تكلم سيد أهل الحكمة والبيان وأفصح نوع الإنسان صلى الله عليه وسلم بجوامع الكلم ، فأوجز وأفصح ، وأوضح وأغمض ، وهكذا ورثته وأتباعه ، لا تحرد مني يا أخي ، كل ماحام حول فكرك من رؤيا

نفسك ، ومالك وحسبك ونسبك ، وعلمك وبلدك وزوجك وولدك وعملك وفتحك وكرامتك ومزيتك فهو خاطر، إن قابلته بالخضوع والذل والحمد والشكر والمسكنة انقلب فتحا ، وإن قابلته بالعزة والكبر والاستعلاء والغفلة انقلب قبحا ووسواسا وقطيعة ، فتدارك نفسك وأصلح شأنك ، إذا انقطعت عن عبادة سيدك تبكي عليك الأرض التي عبدت الله عليها ، وكأنها توددا إليك وأسفا عليك ، تقول قول القائل :

و كنت أظن أن جبال رضوى تزول وأن ودك لا يزول

ولكن القلوب لها انقلاب وحالات ابن آدم تستحيل

فإذا كانت الأرض تحن إليك ، وتود سوق الخير إليك ، فكيف بك ؟ هذا الشأن أولى لك ، وأنت لو فقهت أولى به .

بلغني عن بعض إخواننا رجال العصر أنه يقول :

عقدت بباب الدير عقدة زناري وقلت خذوا لي من فقيه الحمي ثاري

يريد بذلك معاني أخرى ، إياكم والقول .مثل هذه الأقاويل ، حسن الظن يلزمنا بسيدنا الشيخ ، ولكن أدبنا مع الدين ألزم ، ووقوفنا مع الحق أهم ، لا نعقد الزنار ولا نمر على باب الدير ، ونُقْبَلُ يَدَ الفقيه ورجله ، ونطلب منه علم ديننا ، ونقول طلب الشيخ مقاصد سترها بهذه الألفاظ ، وليته لم يطلبها ولم يسترها ، ويقول عوضا عما قال :

حللت بباب الشرع عقدة زناري وطهرت بالفقه الإلهي أسراري

وما الدير والزنار إلا ضلالة وما الشرع إلا الباب للوصل بالباري

نعم حالة أهل الحب تأخذ القلب ، فيطيش العقل ، فيتكلم اللسان كلام من جن أو خمر ، أو غلا دمه أو أغشِيَ عليه ، فدعوا الرجل وربّه ، وهذا يكفيه منكم ، وتمسكوا بالحبل المتين الذي من تمسك به لن يضل أبدا.

هذه الكلمات ومثلها من الشطحات التي تتجاوز حد التحدث بالنعمة ، مَثَلُ صاحبها كَمَثَلِ رجلٍ نام في بيت الخلاء ، فرأى في منامه أنه يجلس على سرير سلطنة ، فلما استيقظ خجل وعرف مكانه.

الله الله بالوقوف عند الحدود ، عضوا على سنة السيد العظيم بالنواجذ.

مالي وألفاظ زيد ووهم عمرو وبكر

وجه الشريعة أهدي من سر ذاك وسري
صدق الله وكذبت بطن أخيك.

أي أخي

كل ما أنت فيه إن لم يكن حلالا فلا ثواب عليه ، وإن لم يكن مباحا فانت مسئول عنه ، وإن جئت بالحرام يتلي عليك إذا لقيت ربك : (وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ). لا أقول لكم : ضاقت عليكم السبل ، وأخذكم السيل ، ورددتم عن باب الكريم ، لا وحقه تعالى ، بل سيظهر من كرمه وإحسانه ولطفه وفضله غدا يوم القيامة ، ما يتناول إليه طمع إبليس ، وظلمة الكافرين ، ولكن أقول لكم : هو سبحانه : (غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ) ، فتقربوا من باب مغفرته بالتوبة والعمل المرضي عنده ، وتباعدوا عن باب عقابه بترك معاصيه ، وخافوه خوف عالم بعظمته وقدرته ، وأضمروا الرجاء به ، رجاء موقن بكرمه وعميم إحسانه ، فإن رجاء المؤمن بقدر خوفه ، حتي لو وزنا لما زاد أحدهما عن الآخر ، المصير إلى الله والرجوع إليه ، وكلُّ يعود إلى معدنه ، ويستوفي أجله ، وتعود عليه المسألة ، قال تعالى (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى) ، هذه الحبة التي تأكلونها نبتت بتراب مثلكم ، انظروا إلى من قبلكم كان لهم قوة وبأس شديد ، ذهبوا وبانوا ، وكأنهم ما كانوا :

هذا تراب لو تفكره الفتى لرأى عليه من الجباه بساطا
وكأنما ذراته لو ميّزت صيغت لألسنة الأولى أسقاطا

ندوس ألسنا وجباها ، وحدودا وشفاه (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ). هذه الدنيا وهذه أحوالها ، وهذه ديارها ورجالها ، بالله عليكم هل بعد هذه الفكرة ، وأخذ العبرة ، من طمع بها وبديارها ، وإصلاحها وإعمارها ؟ أأعمر هذا الرواق حتي يسكنه صالح وإبراهيم وأبو القاسم والنساء ؟ أم أعمر بيتا أسكنه أنا إذا فارقت الأحباب ، وتوسدت التراب ؟ أهذا الرواق عمره أبي بخيله ورجله ، وأبقاه لي من بعده ؟ لا والله بل الله وهب وأحسن ، وأكرم وتحنن ، أهذه المنة مخصوصة بي ؟ لا والله ، بل الدنيا يعطيها لمن يحب ولمن لا يحب ، والآخرة لا يعطيها إلا لمن يحب ، رزق أبي بيتا ومقاما ، وثوبا وطعاما ، وأنا كذلك وأولادي وعيالي في لوح غييه المحفوظ بعلمه لهم رزق ، وهكذا جميع الخلق ،

فعلام هذه الخيالات ، وتطرق سبيل الضلالات ؟ ألكيس من خاف ربه ، ودان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، قال تعالى (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) ، آية اختلف في تفسيرها الرجال ، إرث معنوي تحسن به القربى من الله للعبد إذا توسد الأرض ، أو الصالحون لإرثها وسياسة خلقه على مقتضي استحقاق الخلق ، فإن الأعمال عين العمال ، أجل عملكم عمالكم ، وكما تكونوا يولي عليكم (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) بيّنة على ما ذكر ، وفسرها جماعة بأرض الجنة ، والكل على هدي.

أي أخي

أما تنظر الطفل إذا ولد يبرز إلى الدنيا قابضا كفه حرصا عليها ، وإذا خرج يخرج باسطا كفه معترفا بفراغ يده من الأمر العارض الذي حرص عليه ، كفى بالموت واعظا ، كفى بالموت واعظا.

أبكي ومثلي من يبكي إذا سبقت قوافل القوم أهل العلم والعمل
بكاء قوم للقيا الواهين به وإنني الخائف الباكي من الزلل

أي سادة

ما تركت طريقا صعبا ، ولا مسلكا غضا ، إلا كشفت قناعه ، ورفعت بأكف عساكر الهمة ستره المسدول وشراعه ، ودخلت على الله من كل باب ، فرأيت على الكل ازدهاما عظيما ، فجئته من باب الذل والانكسار ، فرأيت خاليا ، فوصلت وحصلت مطلوبى ، والطلاب على الأبواب ، أعطاني ربي من فضله ومواهبه مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر من أهل هذا العصر.

وعدي رسول كرمه أن يأخذ بيد مريدي ومحبي ، ومن تمسك بي وبذريتي وخلفائي في مشارق الارض ومغاربها إلى يوم القيامة عند انقطاع الحيل ، وبهذا جرت بيعة الروح ، لا يخلف الله وعده ، لا تصح المكاملة لمخلوق مع الخالق بعد النبيين والمرسلين الذين كلهم سبحانه وحيا أو من وراء حجاب ، وإنما وعد إحسانه ينجلي الى قلوب أوليائه

وأحبابه بالرؤيا المنامية ، والواسطة المحمدية ، والإلهام الصحيح الذي لا يخالف ظاهر الشريعة الأحمدية بحال من الأحوال ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

مواهب الرحمن لا تنقضي أمة المختار مثل المطر
خزائن السر لأحبابه والأهل للحكمة نوع البشر
قد يضلّع السابق في سيره ويسبق الضويلع المنتظر
اللهم زدني حكمة وفهما ومعرفة وعلمًا ، واجعلني والمسلمين من المحبوبين المقربين
عندك ، المقتدين بنبيك ، إنك تفعل ما تشاء ، وتحكم ما تريد وأنت أرحم الراحمين
أي سادة

عظموا نعمة الطعام والشراب ، والثياب والعافية ، والأمان والدين ، تدوم عليكم
النعم ، صححوا اليقين بإشارات الصالحين ، فإن نَعَمَ الله عليهم هائلة ، وسحب المدد
إليهم متواصلة ، دلهم به عليه ، وقربهم به إليه ، وشرح صدورهم للإيمان ، وجعلهم
أعيان نوع الإنسان ، وتعرف إليهم فعرّفوه ، وأحبهم فأحبوه، (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).

إجعلوا دعائم توكلكم على الله رصينة المباني ، وأساليب أدعيتكم لله خالصة المعاني،
وكونوا من النفس والشیطان على حذر ، وخذوا بالحزم في كل أمر فما خاب من شد
مئزر الحزم بالله ، وركب مطايا العزم إلى الله ، ماذا يقول الواعظ بعد قول الله (لِتَجْزَى
كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى) ، ماذا يُترجمُ الموجزُ بعد قوله تعالى (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ) ،
ماذا يعدُّ المنبه بعد قوله سبحانه (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) ، ماذا يدقق المحذر بعد
قوله تقدس شأنه (يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) ، (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) ، ماذا
يوضح الأمر بعد قول الله (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) ، ماذا
يصدع الناهي بعد قوله سبحانه (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ
يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)، ماذا يزن اللبيب بعد قوله جل وعلا (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) ، (الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) ،
هذا كتابُ الله حجةٌ قائمةٌ ، ومعجزةٌ دائمةٌ ، أنبأنا عما كان وما يكون ، وكشف لنا
كل سرٍّ مكنونٍ ، من عمل به نجا وغنم ، ومن انحرف عنه قُطِعَ ونَدِمَ ، وهذه سنة نبيه

سيد الناجين ، ووسيلة المناجين ، محجة بيضاء ، لاضلال بعدها أبدا ، وهذا طريق القوم
(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)، تشهد لهم بالمعية الإلهية ، مَعِيَّةُ الاختصاص ،
مَعِيَّةُ المعونة ، مَعِيَّةُ المدد ، فمن آمن بالله وكتابه ، ونهج منهج القوم ، وكان معهم ،
ودخل حزبهم فاز (أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

يأخني دع عنك طُرُقَ الوسواس ، واطرح الاستئناس بالناس ، وكن مع
الله ، وخذ الحُكْمَ وَالْحِكْمَةَ عن الله ، (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا). لا يكن حظك لسانك ، لا يكن منتهاك أن تكذب على نفسك
بحالك.

بدلت بالحنا بياضك أحمرًا وخُذِعت فيه وقلت شعري أحمر
عَرَّجَ على حرم القرب بقوة مطية الصدق ، قامعا صفوف الوهم بعساكر الهمة ،
ملتفتا عن دوائر الأكوان ، مشتغلا بمراقبة المَكُونِ ، معتصما بحبله من القطيعة ، حاملا راية
الافتقار إليه ، ضاربا طبل الذل بين يديه ، متجردا من حجاب الزوجة ، من حجاب
الولد ، من حجاب المال ، من حجاب وجودك ، من حجاب عبادتك ، من حجاب
يقظتك ، من حجاب غفلتك ، فإن رؤياك اليقظة غفلة عظمي ، ورؤياك نورك ظلمة
دهما. كل شيء لك حجاب ، فافتح منه بابا إلى المقصود ، وكل مقصود حائل ، فتجرد
منه إلى المعبود.

تعس عبد الزوجة ، تعس عبد الدنيا ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار ، تعس
عبد الكرامة ، تعس عبد الخلق ، تعس من سار للجناب الأعلى بالعزم الأدنى.

سر للجناب بممة مرفوعة عن عالم التفصيل والإجمال
وارفع جنابك عن عبادة غيره بحقيقة الأفعال والأقوال
(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا
وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ). خذ الموعظة من جوعك ، من عطشك ، من تحول
أحوالك ، كذلك حال المخلوقين ، لا تفرح بقلقلة نَحْوِ لسانك ، وأنت منصرف نحو
الأغيار ، لا تطمئن لعائلة فقهك وانكبابك عليه لصيد الدينار ، لا تنقطع بفلسفتك وأنت
مفلس من محبته ، لا تقف عند تصوفك وانت موصوف بالبعد عنه.

كل العلوم إذا تخللها السوى صارت لداعي الانفصال معالما

أي سادة

الطريق إلى الله كطريق الرجل إلى البلدة الأخرى ، فيه الصعود والهبوط ، والاعتدال والاعوجاج ، والسهل والجبل ، الأرض الفقراء التي حلت من الماء والسكان ، والأرض النضرة الخضرة الكثيرة المياه والأشجار والسكان ، والبلدة المقصودة وراء ذلك كله ، فمن انقطع بلدة الصعود أو بذلة الهبوط ، أو براحة الاعتدال ، أو بتعب الاعوجاج ، أو بيسير السهل ، أو بعسير الجبل ، أو بغصة القفر ولوعة العطش ، أو بحلاوة النضارة والخضرة ، والمياة والأشجار والأنس بالسكان ، بقي دون المقصود ، ومن لم يشتغل بكل ذلك ، حاملا شدة الطريق ، معرضا عن لذائذه وصل إلى المقصود، وكذلك سالك الطريق إلى الله، إن صرفته صعوبة الأحوال عن مُحَوَّل الأحوال ، وغلبته سكرة إقبال الخلق عن مُقَلَّب القلوب ، فقد فاتته الغرض ، وبقي دون مقصوده ، وانقطع بلا ريب ، وإن ترك عقبات الطريق حلوها ومرها وراء ظهره ، فقد فاز فوزا عظيما.

أي سادة

أنا بايعت الله على عرفات ، على ترك الغرض والنفس والمال ، ناجي بعض الرجال ربه في المنام فقال : يارب دلني كيف أصل إليك ؟ فجاءه الجواب : اخلع نفسك وتعال ، ذهب موسي عليه السلام يطلب قابلة لزوجته الطاهرة وهي تعالج الطلق ، فقال لأهله ، (إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) ، خيرا من ذي هدي يرشدني كيف أصنع لجلب القابلة ، (فَلَمَّا آتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ) ، نفسك وزوجتك ، (إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى) عن رؤية الزوجة والنفس.

أي سادة

واديكم المسجد ، إذا دخلتم فاخلعوا نعال الغيرية ، فإن العبد يناجي ربه في الصلاة، فلينظر كيف يناجي ربه ، وكيف يقف في حضرة مخاطبته ، تلك حضرة الإحسان التي طرزها أقلام التقديس بحديث (اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، علامة جهلك اشتغالك بنفسك وأهلك ، لا أقول لك دعهم على حافة الإهمال ،

وخذ لك صومعة في الجبال ، بل أقول لك تقرب إلى الله بخدمة عيالك ، وروّح عن نفسك ، وطب بربك عن الكل ، فإن الربوبية تقدست وجلت عن وصف المشاركة في كل حال ، رُدَّتْ أعمال الشرك إلى المشركين ، وقُبِلَتْ أعمال التوحيد من الموحدين ، (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) ، وقال تعالى (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا).

أي سادة

إذا استعنتم بعباد الله وأوليائه فلا تشهدوا المعونة والإغاثة منهم ، فإن ذلك شرك ، ولكن اطلبوا من الله الحوائج بمحبته لهم ، رُبَّ أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره ، صرّفهم الله في الأكوان ، وقَلَّبَ لهم الأعيان وجعلهم يقولون بإذنه للشيء كن فيكون ، عيسى عليه السلام، خلق طيرا من الطين بإذن الله ، أحيي الموتي بإذن الله ، نبينا وحبينا سيد سادات الأنبياء محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، حن الجذع إليه ، وسلمت الجمادات عليه ، وجمع الله به ماتفرق في الأنبياء والمرسلين من المعجزات ، وجرت أسرار معجزته في أولياء أمته ، فهي للأولياء كرامات تَمُرُّ، وله عليه الصلاة والسلام معجزة تستمر.

أي ولدي ، أي أخي

إذا قلت اللهم إني أسألك برحمتك ، فكأنك قلت : أسألك بولاية عبدك الشيخ منصور وغيره من الأولياء لأن الولاية اختصاص ، (وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) ، فإذا إياك وإعطاء قدرة الراحم إلى المرحوم، فإن الفعل والقوة والحول له سبحانه ، والوسيلة رحمته التي اختص بها عبده الولي ، فتقرب برحمته ومحبه وعنايته التي اختص بها خواص عباده إليه عند حاجتك ، وَوَحَّدَهُ فِي كُلِّ فِعْلٍ فَهُوَ غَيُورٌ.

أي سادة

من طرق الباب بالخضوع ، فُتِحَ له بالقبول ، ومن دخل الرحاب بالانكسار ، جلس في بيت العزة.

أي أخي

عليك بملازمة الشرع بأمر الظاهر والباطن ، وبحفظ القلب من نسيان ذكر الله ،
وبخدمة الفقراء والغرباء ، وبإدراك دائما بالسرعة للعمل الصالح من غير كسل ولا ملل ،
وقم في مرضاة الله ، وقف في باب الله ، وعود نفسك القيام في الليل ، وسلمها من الرياء
في العمل ، وابك في خلواتك وجلواتك على ذنوبك الماضية.

ياولدي

إن الدنيا خيال ، وما فيها زوال ، ياولدي همة أبناء الدنيا دنياهم ، وهمة أبناء
الآخرة آخرتهم ، وإياك والدعوى الكاذبة ، واترك الخوض في بحور التوحيد ، واجعل
اعتقادك اعتقادا ثبوتيا لا يتغير ، واشغل ذهنك عن الوسواس الشيطانية ، وحذر نفسك
من مصاحبة صديق السوء ، فإن عاقبة مصاحبته الندامة ، والتأسف يوم القيامة ، كما قال
الله تعالى (يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا) ، وقال الله تعالى (يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ
الْمَشْرِقَيْنِ فَيُطْسَقُ الْقَرِينُ) ، فاحفظ نفسك من القرين السوء لكيلا تخاطبه متأسفا على
مُقارنته بين يدي الله بهاتين الآيتين ، وهناك ندامتك لا تنفع ، وكلامك لا يُسمع.

ياولدي

ما أكلته تُفنيه ، وما لبسته تُبليه ، وماعملته تلاقه ، والتوجه إلى الله حتمٌ مقضي ،
وفراق الأحبة وعدٌ مأتي ، والدنيا أولها ضعف وفتور ، وآخرها موت وقبور ، لو بقي
ساكنها ما خربت مساكنها ، فاربط قلبك بالله ، واعرض عن غير الله ، وسلم في جميع
أحوالك لله ، واجعل سلوكك في طريق الفقراء بالتواضع ، واستقم بالخدمة على قدم
الشريعة ، واحفظ نيتك من دنس الوسواس ، وامسك القلب عن الميل إلى الناس ، وكل
خبزا يابساً وماء مالحة من باب الله ، ولا تأكل لحماً طرياً وعسلاً من باب غير الله ،
وتمسك بسبب لمعيشتك بطريق الشرع من كسبٍ حلالٍ ، واترك الحيلة بالسبب ، وإياك
من كسر خواطر الفقراء ، وصل الرحم ، وأكرم الأقارب ، واعف عمن ظلمك ،
وتواضع لمن تكبر عليك ، ولا تتردد لأبواب الوزراء والحكام ، وأكثر من زيارة
الفقراء ، وأكثر من زيارة القبور ، ولين كلامك للخلق ، وكلمهم على قدر عقولهم ،
وحسن خُلقك ، وامتزج الناس بحسن المزاج ، وأعرض عن الجاهلين ، وقم بقضاء حوائج

اليتامي وأكرمهم ، وأكثر التردد لزيارة المتروكين من الفقراء ، وبادر لخدمة الأرامل ، وارحم تُرَحَمَ ، وكن مع الله ترى الله معك ، واجعل الإخلاص رفيقك في سائر الأقوال والأفعال ، واجتهد بمداية الخلق لطريق الحق.

ولا ترغب للكرامات وخوارق العادات ، فإن الأولياء يستترون من الكرامات كما تستتر المرأة من الحيض ، ولازم بابَ الله ، ووجه قلبك لرسول الله ، واجعل الاستمداد من بابه العالي بواسطه شيخك المرشد ، وقم بخدمة شيخك بالإخلاص من غير طلب ولا أرب ، واذهب معه بمسلك الأدب ، واحفظ غيبته ، وأكثر الخدمة في منزله ، وأقلل الكلام في حضرته ، وانظر له بنظر التعظيم والوقار ، لا نظر التصغير والاحتقار ، وقم بنصيحة الإخوان ، وألف بين قلوبهم ، وأصلح بين الناس ، واجمع الناس ما استطعت على الله بطريقتك ، ورغب الناس بالصدق للدخول في باب الفقراء ، والسلوك بطريق القوم ، وعَمِّرْ قلبك بالذكر ، وجمِّلْ قلبك بالفكر ، ونور نيتك بالإخلاص ، واستعن بالله ، واصبر على مصائب الله ، وكن راضيا عن الله ، وقل على كل حال الحمد لله ، وأكثر الصلوات على الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم ، وإن تحركت نفسك بالشهوة أو الكِبَرِ فَصُمْ تطوعا لله ، واعتصم بجبل الله واجلس في بيتك ، ولا تكثر الخروج للأسواق ومواضع الفُرَج ، فمن ترك الفُرَج نال الفُرَج ، وأكرم ضيفك ، وارحم أهلك وولدتك ، وزوجك وخادمك ، واذكر الله في كل أمر ، وأخلص لله بالسر والجهر ، واعمل للآخرة عملا حسنا ، واجعل عملك في الدنيا عمل الآخرة ، (قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) ، هذه نصيحتي لك ، ولكل من سلك بطريقي ، وإخواني وجميع المسلمين والمحبين ، كثرهم الله تعالى ، وأستغفر الله العظيم من جميع الذنوب خفيها وجليها ، كبيرها وصغيرها ، وأتوب إليه إنه هو التواب الرحيم.

ياولدي

قال سيد الأنام صلى الله عليه وسلم: ما أَسْرَّ عبدٌ سريرة إلا ألبسه الله رداءها ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر.

ياولدي

قال سيد الأنام صلى الله عليه وسلم : إن الله يحب العبد التقي ، الغني ، الخفي.

ياولدي

إن ملكت عقلا حقيقيا ما ملّت إلى الدنيا وإن مالت لك ، لأنها خائنة كاذبة تضحك على أهلها ، من مال عنها سلم منها ، ومن مال إليها بُليّ فيها ، وفي الحديث: (حب الدنيا رأس كل خطيئة). فكما أن حبها رأس كل خطيئة ، فكذلك بغضها والإعراض عنها رأس كل حسنة ، هي كالحية ، لين ملمسها ، قاتل سمها ، لذاتها سريعة الزوال ، وأيامها تمضي كالخيال ، فاشغل نفسك فيها بتقوي الله ، ولا تغفل عن ذكره تعالى ذرة واحدة ، وإن طرّق طارق الغفلة ذرة فاستغفر الله ، وارجع لباب الملاحظة ، واذكر الله ، واستح منه ، راقبه في الخلوات والجلوات ، واحمده واشكره على الفقر والغنى ، واترك الأغيار فما في الدار غير ديار.

يا ولدي

كن صوفيا صافيا ، ولا تكن صوفيا منافقا فتهلك ، التصوف الإعراض عن غير الله ، وعدم شغل الفكر بذات الله ، والتوكل على الله ، وإلقاء زمام الحال في باب التفويض ، وانتظار فتح باب الكرم ، والاعتماد على فضل الله ، والخوف من الله في كل الأوقات ، وحسن الظن به في جميع الحالات.

ياولدي

إذا تعلمت علما وسمعت نقلا حسنا فاعمل به ، ولا تكن من الذين يعلمون ولا يعملون ، ياولدي : نجاة العالم عمله بعلمه ، وهلاكه ترك العمل ، ففي الحديث (إن أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه) ، فلا تضيع أوقاتك باللهو والطرب ، وسماع الآلات ، وكلمات المضحكين ، اترك الفرح ، فإن الفرح في الدنيا جنون ، والحزن فيها عقل ، وكمال الخلود فيها محال ، والانكباب عليها جهل وضلال ، يجعل فكرك ياولدي مشغولا بمن سلف من قبلك من الأنبياء والمرسلين ، والجبابرة والسلاطين ، ماتوا وكأنهم ما كانوا ، هم السابقون ونحن اللاحقون ، فسر على منهاج الصالحين لتحشر في زمرةهم ، ولتكون من فرقته ، (أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

أي سادة

سر الحقيقة ظاهر ، وعلم المعرفة منصوب ، وباب الوصول مفتوح ، حجبكم عن رؤية هذه المعاني الشريفة حب الدنيا ونسيان الموت ، والعَجَبُ ممن يعلم أنه يموت ، كيف ينسى الموت ، و العَجَبُ ممن يعلم أنه مفارق الدنيا ، كيف ينكب عليها ، ويقطع أيامه بمحبتها ، و العَجَبُ ممن يعلم أنه راجع إلى الله ، كيف ينحرف عنه ويلتفت لغيره ، والله غفلتكم هذه خطب جسيم ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، بالكذب تُشَرِّحُونَ ، وفي بساتين الجهل تسرحون ، وبأمر الرزق تحتالون ، ومن العذاب تأمنون ، وكأنكم ماقرأتم : (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) ، أو كأنكم ماسمعتم : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُمُونِ) ، تكفل برزقكم ، فبحيلته اشتغلتم ، لم يتكفل لأحدٍ بالجنة ، وما بعمل المبشرين بها عملتم ، ضيعتم الأوقات باللهو والنسيان ، وقطعتم الأيام بالغفلة والعصيان ، مُزَاحُكُمْ مُزَاحٌ من أمن الندامة ، ولهوكم لهو من لم يسمع بيوم القيامة ، كأنكم الى القبور لا تنظرون ، وبمن سكنها لا تعتبرون ، أين آباؤكم ، أين أجدادكم الذين مضوا من قبلكم ، أين من جمعوا مالا أكثر منكم ، وحملوا جهلا أكثر من جهلكم ، أبالله كفرتم أم على الله استكبرتم.

إخواني

من عرف نفسه بالفناء ، وعرف الله بالبقاء ، مال بنفسه عن الدنيا ، قال تعالى (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) خاطب حبيبه معدن جوهر سره المكنون بقوله (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) ، فاجمعوا همتكم على الوصول لمراتب السلف ، لكيلا تدخلوا تحت قوله تعالى (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) واقرعوا باب الكريم بيد الفقر والاضطرار ، وادخلوا عليه تعالى من باب الذل والانكسار ، فلا بد والله من نقلتي وإياكم لدار الآخرة ، ولا بد من وضعي وإياكم في القبور الدائرة ، (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) ، فالناجي من عامل الله بتقواه ، وكان في الحياة يخشاه.

إخواني أصعب الأشياء مفارقة الأحياء ومقارنة الأعداء ، وأحلاها مفارقة الأعداء ومقارنة الأحياء. ففارقوا أعمال السوء ، لتقارنوا أعمالكم الصالحة في قبوركم ، فوالله لم يقارن المرء من أصحابه تحت طي لحده إلا عمله الصالح.

إخواني إن غرکم لباس الحکام والأعیان وزینتهم وسلاحهم ، وضاحت صدورکم بهذا فاذهبوا إلى المقابر وانظروا آباءکم وآباءهم ، تجدوا الكل في التراب ، والله أعلم بمن هو في النعيم ومن هو في العذاب ، فأنتم كذلك مع هؤلاء تتساوون (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ).

يا ولدي إياك من الاشتغال بما لا يعينك من الكلام والأعمال وغيرها ، وارجع بنفسك عن طريق الغفلة ، وادخل من باب اليقظة ، وقف بميدان الذل والانكسار ، واخرج من مقام العظمة والاستكبار ، فإنك من مضغة ابتداءً وكيفية انتهاءً ، فقف بين الابتداء والانتهاء بما يليق لمقامهما ، وإياك يا ولدي من الحسد ، فإن الحسد أم الخطايا ، لأن الشيطان لما حسد آدم تكبر عليه وأبى أن يسجد له ، وكذب عليه حين حلف له ولحواء (إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ) ، فَطُرِدَ من رحمة الله تعالى ، فَالْكَذِبُ وَالْكِبَرُ وَالْحَسَدُ سَبَبٌ لَطَرْدِ الْعَبْدِ مِنْ بَابِ الرَّبِّ ، فَلَا تُعَوِّذُ نَفْسُكَ عَلَى هَذِهِ الْخِصَالِ قَطْعًا ، واقطع نفسك إلى الله ، واعلم بأن الرزق مقسوم ، فإذا تحققت ذلك ما حسدت ، واعلم بأنك ميت ، فإذا تحققت ذلك ما تكبرت ، واعلم بأنك مُحَاسَبٌ ، فإذا تحققت ذلك ما كذبت ، واغضض طرفك عن النظر إلى أعراض الناس ، فضلا عن العمل الرديء ، فإنك كما تدين تدان ، وكما أن لك عيناً فلغيرك عيونٌ ، وكما أنت يولى عليك ، وامسك لسانك عن مذمة الخلق ، فإن للخلق ألسنا ، نظرك فيك يكفيك ، وكما تقول بالناس يقولون فيك ، وحاسب نفسك في كل يوم ، واستغفر الله كثيرا ، وكن طيب نفسك ومرشدها، ولا تغفل عن حساب نفسك، وإياك من الاشتغال بحظ النفس.

أي سادة

الأنس بالله لا يكون إلا لعب قد كملت طهارته ، وصفا ذكره ، واستوحش من كل ما يشغله عن الله عز وجل .

التوحيد وجدان ، تعظيم في القلب يمنع من التعطيل والتشبيه ، الكشف قوة جاذبة بخاصيتها نور عين البصيرة إلى فضاء الغيب ، فيتصل نورها به اتصال الشعاع بالزجاجة الصافية حال مقابلتها إلى فيضه ، ثم ينصرف نوره منعكسا بضوئه على صفاء القلب ، ثم يترقي ساطعا إلى عالم العقل ، فيتصل به اتصالا معنويا له أثر في استفاضة نور العقل على ساحة القلب ، فيشرق القلب على إنسان عين السر ، فيرى ما خفي عن الأبصار موضعه ، ودق عن الأفهام تصوره ، واستتر عن الأغيار مرآه.

أي سادة

إذا صلح القلب صار مهبط الوحي والأسرار والأنوار والملائكة ، وإذا فسد صار مهبط الظلم والشياطين ، إذا صلح القلب أخبر صاحبه بما وراءه وأمامه ، ونبهه عن أمور لم يكن ليعلمها بشيء دونه ، وإذا فسد حدّته بباطلات يغيب عنها الرشد وينتفي معها السعد ، ولذلك أرى أن من شرط الفقير أن يرى كل نفس من أنفاسه كالكبريت الأحمر ، بل أعز منه ويودع كل نفس أعز ما يصلح له ، فلا يضيع له نفس ، الأمر أعظم مما تظنون وأصعب مما تتوهمون ، أفضل العبادات والطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات.

علامة الأنس ، رفع الحجب بين القلوب وبين علام الغيوب ، المحبة أغصان تزرع في القلوب فتثمر على قدر العقول ، ما أحب أن يُعرف إلا شقي ، ليس من التصوف أحبوني ولا أكرموني ولا زوروني ، ما وقف على باب أهل الدنيا رجل كامل المعرفة ، الأنس بالخلق انقطاع عن الحق ، ومن اعتز بغير الله ذل ، ومن حُرِمَ درجة اليقين سقط من مراتب المتقين ، ومن انقطع لله وصله. الانقطاع الى الله حال أهل الحال مع الله.

لو أردت أن أتكلم عليكم بلسان الحال لوقرت لكم ستين بعيرا بإذن الله ، ولكن أقول لكم لو تكلم المتكلم حتى أصم الأسماع وكان كلامه مردودا عند الظاهر فتركه الكلام أولى له ، وإذا سكت حتى ظن جليسه أنه لا يتكلم ثم تكلم بكلمة واحدة ساجدة في الباطن ساجدة في الظاهر مقبولة عند الشرع ، فتح الله لسماع كلمته القلوب وتلقاها السامعون بالإذعان ، وتكفيه كل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة ، إذا رأيتم شخصا تربع في الهواء فلا تلتفتوا إليه حتى تنظروا حاله عند الأمر والنهي.

أي سادة

كل حال القوم من أولهم إلى آخرهم تحت أربع درجات وكل حال العلماء والفقهاء كذلك :

فأما الدرجة الأولى من حال القوم ، فدرجة رجل طلب المرشد لما رأى من إقبال العامة على الطائفة ، فأحب ذلك وفرح بالرواق والجمعية والزي .
والدرجة الثانية ، درجة رجل طلب المرشد عن حسن ظن بالطائفة ، فأحبهم وأحب ما هم عليه ، وأخذ بصميم القلب كل ما نقل عنهم ، وأخذ منهم بالاعتقاد الصحيح النظيف .

الدرجة الثالثة ، درجة رجل سلك المقامات ، وقطع العقبات ، وبلغ من الطريق العوالي من الدرجات ، ولكن وقف تارة عند قوله تعالى (سُئِرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) فساعة يرى الكون بمشهد الآية التي أُرِيتَ له فيغيب بها عمن أراه إياها ، وساعة يرى نفسه بمشهد الآية التي أُرِيتَ له في نفسه فيغيب بها ، وهذا المشهد مشهد الإدلال ، ومنه تحصل الشطحات والتجاوز وإظهار العلو على العوالي ، والبروز بحال السلطنة ، والظهور بالقول والفعل والحول والقوة .

والدرجة الرابعة ، درجة رجل سلك الطريق مقتفيا آثار النبي في كل قول وفعل وحال وخلق ، حاملا راية العبدية ، فارشا جبين الذل في الحضرة الربانية ، يشهد على هامته (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) ، ويقرأ من صحيفة جبهة كل ذرة مخلوقة ، (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) ، يقف عند حده ، ويسط على تراب الأدب بساط حده ، ويمر في أثناء سيره على عقبات الآيات فينصرف عنها إلى المعبود ، (وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) .

فصاحب الدرجة الأولى محبوب

وصاحب الدرجة الثانية محب

وصاحب الدرجة الثالثة مشغول

وصاحب الدرجة الرابعة كامل

وفي كل درجة من الدرجات المذكورات ، درجات كثيرة تظهر للعارف من حال الرجل.

وأما درجات العلماء والفقهاء:

فالدرجة الأولى ، درجة رجل طلب العلم للممارسة والجدال والتفاخر وجمع المال وكثرة القيل والقال.

والدرجة الثانية ، درجة رجل طلب العلم لا للمناظرة ولا للرياسة ، ولكن ليحسب في عداد العلماء ، فَيَمْدَحَ بين أهله وعشيرته وأهل قريته مكثفيا بهذا المقدار متمسكا بالظاهر لا غير.

والدرجة الثالثة ، درجة رجل حل عويص المشكلات ، وكشف دقائق المنقولات والمعقولات ، وغاص ببحر الجدل مضمرا الهمة لنصرة الشرع في أحواله ، إلا أنه أخذته عزة العلم على من هو دونه ، وإذا انتصر للشرع وعورض بدليل ، احتطفتة نصرة نفسه ، فأفرط وأقام الأدلة على خصمه وشنع عليه ، وربما كفره وطعن فيه ، وهجم عليه هجوم الحيوان المفترس ، مع عدم رعاية الحد المحدود شرعا في كل حال من أحواله وأحوال خصمه.

والدرجة الرابعة ، درجة رجل عَلَّمَهُ اللهُ ، فَنَصَّبَ نفسه لتبنيه الغافل ، وإرشاد الجاهل ، ورد الشارد ونشر الفوائد والنصيحة ، وإنكار ما يُنكَرُ شرعاً ، وقبول ما يُقْبَلُ شرعا بحسن التجرد من الغرض ، يرى أن الحسن ما حسنه الشرع ، والقبيح ما قبحه الشرع ، يأمر بالمعروف أمر حكيم غير غليظ ولا فظ ، وينهى عن المنكر نهى مشفق غير ظالم ولا عاد.

فصاحب الدرجة الأولى سيئ

وصاحب الدرجة الثانية محروم

وصاحب الدرجة الثالثة مغرور

وصاحب الدرجة الرابعة عارف

وفي كل درجة من الدرجات المذكورات كذلك ، درجات تظهر من حال الرجل ، والمعصوم من عصمه الله وقد ظهر لكم.

أي سادة

إن نهاية طريق الصوفية نهاية طريق الفقهاء ، ونهاية طريق الفقهاء نهاية طريق الصوفية، وعقبات القطع التي ابتلي بها الفقهاء في الطلب ، هي العقبات التي ابتلي بها الصوفية في السلوك ، والطريقة هي الشريعة والشريعة هي الطريقة ، والفرق بينهما لفظي ، والمادة والمعنى والنتيجة واحدة. وما أرى الصوفي إذا أنكر حال الفقيه إلا مكمورا ، ولا الفقيه إذا أنكر حال الصوفي إلا مبعودا ، إلا إذا كان الفقيه أمرا بلسانه لا بلسان الشرع والصوفي سالكا بنفسه لا بسلوك الشرع فلا جناح عليهما ، والشرط هنا الصوفي الكامل والفقيه العارف ، كما ذكرنا.

كيف يعمل الصوفي الكامل إذا قال له الفقيه العارف :أأنت تقول لتلامذك لا تصلوا، لا تصوموا ، لا تقفوا عند حدود الله؟ بالله عليكم هل يقدر أن ينطق إلا بحاشا لله، كيف يعمل الفقيه العارف إذا قال له الصوفي الكامل: أأنت تقول لتلامذك لا تكثروا ذكر الله لا تحاربوا النفس بالمجاهدات لا تعملوا بصحة الإخلاص لله؟ بالله عليكم هل يقدر أن ينطق إلا بحاشا لله. فحينئذ اتحدت المادة والمعنى والنتيجة واختلفت اللفظة لا غير ، فمن حجه من الصوفية حجاب اللفظة عن أخذ ثمرة المادة والمعنى والنتيجة فهو جاهل ، ما اتخذ الله وليا جاهلا ، ومن حجه من الفقهاء حجاب اللفظة عن أخذ ثمرة ما ذكرناه فهو محروم، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع.

قل يا أخي للمساكين المحجوبين من الصوفية ، أما تريدون أن يوجد في قطركم هذا رجل عالم يدفع شُبه الملاحدين وأهل البدع والزيف بالحجج الظاهرة.

قل يا أخي للمساكين المحجوبين من الفقهاء ، أما تريدون أن يوجد في بلادكم هذه رجل يقهر أهل الجحود والضلال والعناد بالكرامات الباهرة. يشتهي خاطرهم أن سر اللسان الحمدي ينقطع ، تحب نفوسكم أن سلطان المعجزة النبوية يخذل (يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) تشهد ببقاء هذا اللسان النبوي وهذا السلطان الحمدي ، (نَحْنُ أَوْلَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) تثبت دوام هذه الحقائق. تحفرون آبار قطعكم بأيديكم؟ يا خاصة يا عامة يا رجال الطائفتين أنتم طائفة واحدة. (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) لا تدخلوا تحت قوله تعالى (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ

بَأْفَوَاهِهِمْ)، عليكم أن ينصح فقيهمكم جاهلكم ، وأن يقود كاملكم ناقصكم، عملا بقوله تعالى **(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى)** ، لا بقهر ولا بغدر ولا بظلم ولا بكبر ولا بعلو، لا بأس إن صدعت بما أمرت به على لسان نبيك ، ولكن قبل الصدع عرّف المعروف مغناطيس جذاب.

إيش تريد يا صوفي يا فقيه يا من جمع بين الشائين؟ تريد أن تسب العباد وتبغى عليهم وأن تلعو وتغلو؟ ما هذه والله طريقة نبيك ولا سنة وليك ، كان إذا نهى عن خُلُقٍ لم يُسمِّ فاعله ويقول ما بال أقوام يفعلون كذا ، أو ما بال الرجل يقول كذا ، أو كما قال ، كيف إذا قلت لكم يا أهل أم عبيدة أنتم كذا وكذا، وشتمتم وأغلظت عليكم ونسبت إليكم القبايح ، ثم طرت في مجلسي هذا إلى الجو ورجعت ، هل لا تبقى في قلوبكم مرارة الشتم والسب ولو غلبكم سلطان طيراني وهيبة حالي ، بلى والله. وهذا الذي انطوت عليه الطباع كلها ولعل الفقيه أبا شجاع يقول في نفسه ، ما أغلظ رسول الله في مواعظه بشتم وسب ، ولا صرح باسم أحد ولا طار ولا تسلط بقوة المعجزة على الطباع ، ولعل الشيخ الفقيه عمر الفاروشي يقول ، قال الله **(ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)**. وكيف لو قال لكم واعظ في مسجد الشط على حصيرة مقطوعة بثياب رثة.

أي أحبابي أي إخواني

شاربُ الخمر ملعونٌ ، الكذابُ ملعونٌ، الظالمُ ملعونٌ ، إذا وعظ أحدكم وكان في مجلسه من ابتلاه الله بهذه الأوصاف ، هل تنفر نفسه من الرجل نفرة استعظام؟ أم تأخذه الرأفة الى حالة فقره وانكساره إلى التوبة وإن لعبت نفسه عليه ، وأي حال أقرب إلى الله؟ حال الاتعاض بتجرد الرجل عن نفسه وحوله وطوله أقرب وأشد وقعا في النفوس من الغلبة القاهرة، فإن الغلبة القاهرة تُبقى بقية مُضمرة في النفس كيف كانت، وحالة الانكسار لا تبقى ولا تذر، تدخل إلى دائرة النفس فتطهرها ، وإلى دائرة القلب فتقر فيه ، ولا يبقى معها ضدها أبدا ، فإذا وعظتم الناس إياكم والتصريح وخذوا بالتلويح ، فإن هناك رائحة السنة ، وشمة النفحة النبوية ، وبها والله يُصلحُ الله القلوب ، فلا حاجة معها لأحوالكم أبدا. إيش نقول للذي يعجبه علوه على الناس ، ويجب انقياد الرقاب إليه،

حل عنك يا مسكين ، انقادت لك الرقاب وما انقادت لك القلوب ، متى سقطت من حالك وواردك، تقلبت عنك القلوب وداستك الأقدام ، وبقيت أسود الوجه.

الحسين عليه السلام طلبت بشريته حقها الشرعي الذي لا نزاع فيه ، فغارت الربوبية فرفعت روحه إلى مقعد صدق ، فلما قرت الروح في مقامها حنت لقلبها المبارك ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا ، وتحكم سيف العدل في الأمرين فكانت شهادة الإمام رفعة له، وكان ظفر أعداء الله خزيا لهم ، وإنما الغارة الإلهية فعلت في بشرية الإمام ما فعلت، وكأنها تقول لها طلبت قود الرقاب إليّ ، وأنا أريد قودك بالكلية إليّ ، فطلبك إليّ اضمحل عند إرادتي إياك إليّ ، فبارزتك إرادتي بأكف من قطعهم عني ، فأدنيتك بمن قطعهم عني ، وعرفتني أنني أريد فأفعل ، ويُراد لي قبل تعلق إرادتي فلا أفعل ، ولك ثواب الطلب لأنك طلبت قود الرقاب إلي لا إليك ، ولو أنك طلبت قود الرقاب إليك لما قدتني إليّ ، فإن من طلب قود الرقاب إليه بين خطر القهر والاستدراج ، فإن قهرته قهرته بأكف عباد وصلتهم بي ، فقطعت الآخر بهم عني ، وإن فَتَكَتْ به وبنفسه ومراده عساكرُ (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) فقد ضل.

أي سادة

طلبُ القَوْدِ إلى الله قبل تعلق إرادته جرّاً أعداءُ الله على ابن ولي الله، وسبط رسول الله، ومحبوب الله، وابن أحباب الله، الذي قام منار بشريته الكريم يدعو إلى الله، وطار طائر روحه النوراني إلى حضرة قدس الله، فكيف بمن يدعو إلى نفسه بنفسه، بشريته مقتولة، وروحه مبعودة، وحاله شاهد عليه.

الله بالأدب مع الله، فإن خلقَ الله حجباً وأبواباً، فإن أدركتم سر الأدب مع خلق الله، فُتِحَتْ لكم أبوابُ القبول عند الله، وإن جهلتم أمر الأدب مع خلق الله، حُجِبْتُمْ بالخلق عن الله، ومن ثم اشتغل أهل العرفان والذوق الخالص بحجر القلوب، ووضعوا الحدود على الطرقات تحت الأرجل، وطافت أرواحهم في حضرات القبول بهذه الأجنحة المعنوية، فعرفوا الحق بالخلق، ونزهوا الحق عن الخلق.

أنا عند المنكسرة قلوبهم لأجلي نص قدسي يدلکم كيف يُعرف الحق بالخلق، ولهذا قال النبي تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله، وذلك الفكر المأمورون به فكر الأدب مع الصانع في مصنوعاته جل وعلا.

أي سادة

عالم النبوة العالم الأكبر الجامع لجميع العوالم، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام خلفاء الله في الأرض على الحقيقة، وأصحاب الهمم السماوية، والقلوب العرشية، والأسرار الربانية، والانخلاع عن الأغيار بالكلية، قادات الخلق إلى الحق، بين مراتبهم البدائية ومراتب الصديقين النهائية ثلاثمائة ألف وثمانية وستون ألف مرتبة، ليس للصديقين على مراتبهم من سبيل، وبين مراتب النبيين ومرتبة سيد المخلوقين مراتب ودرجات، في مرتبة محبوبيته مراتب لا تعد ولا تحصى، ولا تمر آونة إلا وله مرتبة تُرْفَعُ ودرجة تُنْصَبُ ومقامٌ يدنو من الله، لا تحيط به الأسرار ولا تدرك كلفيته الأوهام والأفكار، تتميماً للنعمة وتكميلاً لشرف المحبة، وبين مراتب الصديقين البدائية ومراتب الأولياء المقربين النهائية ألف ومائة واثنان وخمسون مرتبة، فُتِحَ السبيلُ إليها للأولياء ولكن لا يصلون إلى مراتبهم النهائية أبداً، وإن للقطبية الجامعة ثمانية وثمانين ألفاً وستة عشر مرتبة، كل مرتبة متوجهة إلى عالم من العوالم، وكل مراتب أولياء العصر بالنسبة إلى مرتبة القطب الجامع، واقفة في الأرض ومرتبة متسمة أبواب السماوات، وبين مراتب الأولياء البدائية، ومراتب الصالحاء الأمة الذين لم يحسبوا في عداد الأولياء كما بين السماء والأرض، وبين مراتب الصالحاء وعامة الأمة الأحمدية مرتبتان التوبة والعمل الصالح.

الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وتلك رؤياه، فإن رسالته ثلاثة وعشرون سنة فكان في ستة أشهر منها يوحى إليه في الرؤيا فإذا قسمت السنين الباقية إلى ستة أشهر أجزاء علمت أن رؤياه جزء من نبوته عليه السلام والتحية، ومنزلة نبوته الجليلة مصونة المراتب يقظة ومناماً، وإنما الرؤيا وحي المؤمن بتنزيل الملائكة، ولا يصح ذلك التنزيل إلا لمن آمن بالله، وَذَكَرَهُ واستقام على ما يرضيه، فيكون ذلك التنزيل الملكي عليه آمناً وبشراً، (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا

تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) الآية شاهد عدل يدل على ما ذكرناه.

أي سادة

حُدُّوا المراتب وإلا أخذتكم الخيل تحت السَنَابِكِ ، لا يَصِلُ الْوَلِيُّ إلى غاية أحدٍ من الصديقين والصحابه ، فإنهم نهضتهم النظرة الطاهرة المحمدية ، فأخذتهم إلى محبوبيته فأحبوه وأحبهم ، (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) ، فإذا أردتم القربى من الله فتقربوا إلى الله بمحبته ، والافتداء بهم ، (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ) ، وقال لنا فيهم رسول الله أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم.

أي أخي

قال لك أهل الحال ربك يوجدك ثم يفنيك، وَيُصَرِّكُ ثُمَّ يُعْنِيكَ، فيجلسك بلا أنت على بساط الاصطفاء للتعليم، ويقيمك مقام الأنس للتكليم ، ثم يفنيك عما أبدى بظهوره بسطوة الإجلال والتعظيم ، ثم يُلْبِسُكَ خُلعة التوقير والتكريم ، ويحظيك بملاحظة التكليم ، فيثبت فيك شاهد التوفيق والتصميم، ويقول لك: خذ ما آتيتك بقوة التثبيت بريئاً من حولك البشرى وقوتك الآدمية ، شاكراً للمنع الإلهية والمواهب الربانية ، داخلاً في كل أمورك تحت كنف الرضى والتسليم ، (فَخُذْ مَا آتَيْتَكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ)، ذلك فضله لا كسبك ، وجوده لا اجتهداك ، واختصاصه لا حرصك ، وإلهامه لا علمك ، واصطناعه لا استحقاقك.

تساوت طينة البشر من حيث الصور، وتباينت في التفضيل بما بدا عليها وظهر، فكلُّ ما ظهر عليها فبقدر، فإذا انبلج الصبح من غيمه، وأسفر وأشرق النور عليها فبهر، وامتد منها إلى سواها وانتشر سلطانه فقهر ، وتمكن شاهده واستقر ، وظهرت الإشارات والمعاني على الصور ، فقد نفخ في الصور ووضع الكتاب المسطور ، وكان الغائب المحتجب هو الظاهر المشهود المنظور ، حينئذ يبعث ما في القبور ، وَيُحْصَلُ ما في الصدور، ويزول الغرور ويحظى المتقون بالحبور ، وينال المحبوب غاية السرور.

إن وراء هذه الأسرار حقيقة ، أبصار أكثر الخلق عنها عمية ، لا يدركها إلا من ظهرت له منه فيه ، وتجلت شواهدا منه عليه ، وبرزت آثارها من كونه عليه ، (ذَلِكَ

مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ)، والله يا هذا ، ما ثم اتصال ولا انفصال ، ولا حلول ولا انتقال ، ولا حركة ولا زوال ، ولا مماسة ولا مجاورة ، ولا محاذاة ولا مقابلة، ولا مساواة ولا مماثلة ، ولا مجانسة ولا مشاكلة ، ولا تجسد ولا تصور ، ولا انفعال ولا تَكُون ولا تغير ، كل هذه نعوت حَدَّثَكَ ، والحق سبحانه من وراء نعوتك وصفاتك ، إذ هي مبتدعاته ومخترعاته، فكيف يظهر بها أو فيها أو عنها أو منها ، وبه ظهرت لا بها ظهر ، وهو وراء الأشكال والمعاني والصور ، وما بطن فيها ولا ظهر، ولا أُدْرِكَ بالفكر ولا حُصِرَ في النظر، ونطاق النطق يضيق عن الإفصاح بحقيقة الخبر ، وإنما سُمِحَ في اللفظ لضرورة تفهيم البشر ، فكل صفة لا تعقلها إلا بالمقايسة إلى صفاتك ، فإنما سبقت لضرورة تفهيمك .مَعْنَى ثَبَّتَ عندك، موجودا متحققا من حيث طاقتك ، لا من حيث حقيقة ما نُعِتَ لك نعتٌ من نعوته ، تقدس عما دلت عليه ظواهر النعوت ، وهو المنزه عن دلالة النعت الظاهر من حيث دلت بنفسها على مقايسة وصف المُحَدَّث ، ولا تنفك في دلالتها عن ذلك ، فله من النعوت والتعريف لإثبات ما يستحق ، والذي يستحقه وراء إحاطة العلم وحصر الفهم وإحصاء العقل ، (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا)، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

يا قوم

إيش يُقال، إيش يُتحدث ، كَلَّتْ والله الألسن، وطاشت العقول ، وذَهَلَتِ الأبواب، واحترقت القلوب ، ولم يبق إلا الدهشة والحيرة ، زدني فيك تحيرا ، يا هذا: إنَّ ما أفردت على ظاهر توحيدك مهادنة لك ، ومسألة لدخولك تحت قهر الدعوة ، وبالمسألة والتسليم دون المنازعة قنع منك بالطاعة والدعوة ، لئلا ترجع على عقبك وترتد بعد إسلامك ، ولهذا سميت مسلما ، ولم يطلب منك حقيقة هذا ، إذ لا طاقة لك به ، والله لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ولا يحملها فوق طاقتها ، ما أفردت به من شهادة التوحيد ، هو حظك من الإسلام الذي خرجت به عن جملة الجاحدين، وإن لم تثبت به في زمرة المؤمنين ، فضلا أن تصل به إلى رتبة العارفين ، أو ترقى إلى ذروة المكاشفين ، (قَالَتْ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) ، الذي عندك من العلم بالإضافة إلى معرفة الأنبياء والصديقين كالذي عند الأنبياء من العلم بالإضافة إلى علم مبدية عليهم ، بل

ربما كان علمك جزءا من علمهم ، وعلمهم ليس جزءا من علمه ، ولا تظن أن أحدا حصل من التوحيد على حقيقة مدركة ، إنما ذلك توحيد ذلك الشخص ، أعني حظه من الكشف ، غير متناهٍ لا يُحصَرُ ، ما لا يتناهى مُحدَثٌ ، لا يُدْرَكُ قديماً ، إنما هي مواهبُ الكَشَفِ ، لو ثَبَّتُوا من ذلك على حقيقة لبلغوا إلى غاية الترقى من الطالب ، ولم يكن بعد الغاية تَرَقُّ ، ولا بعد كمال المعرفة زيادة ، ولو صح ذلك لما قيل لأكملهم علما وأعظمهم كشفا وأرقاهم منزلا وأعلاهم حالا ، (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا).

روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (كل يوم لا أزداد فيه علما يقربني إلى خالقي، فلا بارك الله في صحبة ذلك اليوم) ، إذا كان مثل ذلك المحتشم يطلب الزيادة وهو في درج الترقى لا في منزل الوصول الغائي، ولو كان ثم غاية لكانت نهائية، ولو تنهى لانهصر، ولو انهصر لتجزأ ، ولو تجزأ لفني ، ولو حصره سواه لكان أعم منه ، والحدث لا يكون أعم من القدم ، وكل هذه التقديرات مسامحة لفظية وتقديرات كلامية وسوء عادات جدلية ، وإلا فَمَنْ عنده خبرٌ من ذوق الحقائق ، يستغني عن هذه المسامحات اللفظية ، بما عنده من الشواهد البرهانية والبراهين القطعية ، ويعلم بحقيقة حاله أن بضاعته العجزُ وغايته القصورُ، ومن يده في الماء إلى زنده يعرف حر الماء من برده، فكل ما ترجم عنه لسانٌ أو كشف عنه بيانٌ أو اشتمل عليه جَنَانٌ ، فنهايته محصورة وغايته مدركة، حتى تصل الأمور بأربابها إلى العجز والتقصير، فيقول سيدهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، ويقول الآخر العجز عن درك الإدراك إدراك، وهذا إشعارٌ بعدمٍ حاصلٍ متحققٍ من جنس الشاهد مع إثبات وجوده المنزه عما يقوم في الشاهد ، لأن فيه كاف الخطاب للمُخاطَبِ، أي عَرَفْتُ وجودك، ولم أقدر على إحصاء صفاتك ولا إدراك ذاتك، فمن ضرورة وجودي وجودك ، لأني معلومك وأنت القائم بي فلزمي الاعتراف بك من حيث لا يمكنني جحده ، فناقضني تحليك في وبي من حيث ضرورة فقري إليك وفاقتي، وشاهدٌ نقصي ولزومٌ قصوري وعجزِي ، فطلبتُ صفات كمالك التي لا تتناهى بصفات نقصي المتناهية، فلم أطق لك قدرا ، وناديتي سُبُحاتِ جلالك من وراء سرادقات عظمتك: أيها المُحدَثُ المتناهي، ارجع إلى محل حَدَثِكَ قسرا، فلقد حاولتُ أمراً إمراً.

فعجب لي كيف أطلبك وأنت معي ، وكيف لا أشهدك وأنت عندي، أعجب منه كيف أعرفك ولست بمجانسٍ لمعروفٍ ، ولا مُشاكِلٍ لمألوفٍ ، ولا مُتَنَاهٍ فُتَحَصِرُ ، ولا بِجَسَدٍ فُتَتَّصَرُ ، ولا بذِي صُورَةٍ فُتَبْصَرُ ، فمن أين تُعَرَفُ أو تُقَدَّرُ ، فَلَسْتَ بِغَائِبٍ فُتَطْلَبُ ، ولا بِحَاضِرٍ فُتَدْرَكُ ، ولا ظَاهِرٍ فُتَنَالُ ، ولا بَاطِنٍ فُتَنَكُرُ وَتُحَالُ ، ولا مَقْيَسٍ فُتَتَّصَرُ بِمِثَالٍ .

فيا غائبا حاضراً في الفؤاد فديتك من غائب حاضِرٍ

أنت قريبٌ من حيث ضرورة وجود الأشياء بك، فلا أقرب منك ، بعيدٌ من حيث لا مناسبة بينك وبينها ، فلا أبعد منك .
فقلت لأصحابي هي الشمسُ ضوءُها قريبٌ ولكن في تناولها بُعْدُ

يا عجباً كل العجب ممن يُنكر ما أقول، وباع همته إلى تناول الفهم لا يطول ، وشمس عقله أبداً في أفول ، أليس عنده من الشاهد ظاهر باطن وباطن ظاهر، أليس نور الشمس إذا انتشر على مبسوط من الأرض ظهرت به الألوان والأشكال، وتبين به ما كان مخفياً، وبرز به ما كان محتجباً، فإذا برزت صور الأشياء وأشكالها به، خفي على الناظرين وجوده لشدة ظهوره، ولقد ظن قوم ممن لا علم عندهم بحقائق الأشياء، أن ليس ثم مع الألوان والأشكال شيء زائد عليها، وأنها ظاهرة بذواتها حتى هجم عليهم الظل بامتداده، وأرعى الظلام سدوله وجر عليهم كلاكله، فأدركوا تفرقة ضرورية بين النور والضوء، وعلموا بعد ذلك أنها لو كانت واضحة بذواتها، لما جاز أن تُخْفَى وتُنْشَرُ ، وتحققوا أن المَوْضَح لها غيرها، وإنما خفي لشدة ظهوره ، واحتجب لإشراق نوره ، فقد بطن في ظهوره لشدة الظهور، وَبَعْدَ في قُرْبِهِ لإفراط القُرْبِ، وظهر بذاته في بطونه ، وكيف لا يكون ظاهراً وما ظهرت الألوان والأشكال إلا به ، وقُرْبَ في بعده عن الإدراك وكيف لا يكون قريباً وإدراكه قبل إدراك ما أدرك به ، والليبي يعلم أن نور الشمس هو الواضح في نفسه المَوْضَحُ لغيره ، ويعلم أن الألوان والأشكال بتجليه ظهرت ،

وبإشراقه أشرقت وهي مظلمة في ذاتها ، إذ الأجسام الصلبة الكثيفة مظلمة بطبيعتها وجبليتها، والنور مستعار لها من غيرها ، وهذا ربما هزك لفهم قول النبي صلى الله عليه وسلم، إن الله خلق الخلق في ظلمة ، ثم رش عليهم من نوره، فالظهور الحقيقي المظهر لا المظهر ، فأول ما ثبت فيهم المعارف إلى المظهر لا المظهر ، ربما غابت رؤية الأشكال والألوان عنه، وقال لا موجود إلا النور بخلاف اعتقاد الجاهل، وهذا ربما هزك لفهم قول الخليل إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه عند رؤية الكواكب والشمس والقمر هذا ربي: هذا ربي ، هذا ربي ، وردَ وعبرَ عن المفطور إلى الذي فطر، إلى قول الصديق رضي الله عنه: ما رأيت شيئا حتى رأيت الله قبله، وإلى سر قوله عز وجل: (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ). والبليد بالضد من ذلك ، لا يرى غير الألوان والأشكال، ويقف معها ولا يشهد مظهرها، وهذا منكوس على رأسه ، مكب على وجهه ، مردود على عقبه ، لأنه ينظر بالضد من نظر الأول الذي شاهد عين الحقيقة، وربما هزك هذا لفهم قوله تعالى (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).

فإن ترقى العامي الجاهل والعمر الغافل عن رتبة الوقوف مع الصور والأشكال إلى النظر والاستدلال، وأدرك التفرقة بين ما يظهر بذاته، وبين ما يظهر بغيره، عند حلول الحجاب وظهور ضد الضياء من الظلام والتجلى له، وصرف الصور والأجسام، فقام عنده البرهان الحقيقي والدليل القطعي، على كونها مظلمة ، لا ترى ذاتها ولا غيرها ، وأنه لولا وجود شيء خارج عنها هو المسمى نورا ما ظهرت للعيان، ولا تميزت منها الصور والألوان، والمقادير والأشكال ، وذلك النور غير حال فيها ولا ناء عنها، وإنما هو مشرق عليها مظهر لها ، كان حينئذ من أرباب الإرادة المحصور نظرهم في الآفاق المحدودة والأقطار المحصورة، إذ لم يُعرّف النور لنفسه دون نسبته، وربما هزك هذا لفهم قوله تعالى (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)، فهؤلاء في ثاني رتبة، فمن شهد الأشياء بالنور، لا النور بالأشياء ، فهذا يترقى من أسفل إلى فوق، وذاك ينزل من فوق إلى أسفل، فذاك إلى النور ينظر، ثم نزل إلى ما بالنور ظهر من الأشكال والصور، واستحق أن يتقدم في التعليم والسير على طريق أرباب الاستدلال ، ليوضح لهم ما خفي عنهم واستتر، ولهذا سمي الرسول: (ذِكْرًا رَسُولًا) يتلو عليهم آيات الله مبينات ، ينبههم

على كل موجود أنه من حيث ذاته عَدَمٌ، كالأجسام التي هي بذواتها ظُلمٌ ، وإنما بإشراق النور ظهرت.

كذلك عالمُ الحَدَثِ بأسره ظُلمةٌ ، خلق الخَلْقَ في ظُلمةٍ ، وتجلّى وجودُ المُحَدَّثِ له فيه ، بإيجاده له نورا ، فلولا سريان نور وجوده في العالم بأسره لم يظهر منه ظاهرٌ ، وذلك الذي ظهر من نوره بمنزلة الرش ، لا بمنزلة القبض والاستثثار⁸ ، ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه شيء من ذلك النور انتعش ، ومن بقي في ظلمات طبعه وظل قلب جسمه، كان كالمنطلق إلى (ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ) ، وشعب الجسم ثلاثة: الطول والعرض والعمق ، نعوذ بالله من الرد إليه والسجن فيه إذ هو دنيا الإنسان ، فإن ما ظهر للعيان من عالم الشهادة والملك فهي الدنيا، وما بطن من عالم الغيب والملكوت فهي الآخرة التي يُرَدُّ العبد إليها بعد موته ، وأظهر الأشياء عند الإنسان جسمه إذ هو أقرب أجسام العالم إليه والأقرب هو الأدنى، وإنما سميت الدنيا دنيا لدنوها من العبد ، فأقرب أحوال الإنسان إليه دنياه ، وأبعد أحواله إليه أخره ، لأنها قصوى فتأخرت عن أن تنكشف له إلا بعد الموت ، حين يقال له : (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) ، ويقول هو: (رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) ، فيقال له: (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ).

فظاهر أحوالك مشاهدة دنياك الحقيقية ، وأظهرها عندك ما تعلق بجوارحك من لذاتك الطبيعية وشهواتك الحسية ، فهي تحبسك عن السفر إلى حضرة الربوبية ، وتعقلك عن وطء الحضرة القدسية، إذ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، سجن المؤمن الذي آمن وتحقق إن ما يؤول إليه من النعيم المقيم والمقام الكريم أشرف مما يفارقه ، وجنة الكافر الذي كفر عقله أي غُطّي وحُجب عن ملاحظة جمال قدس اللاهوت الأكبر ، ولا يمكن للإنسان الاطلاع المجرد عن الشوائب ، وبينه وبين الأجسام المظلمة علاقة البتة ، وأي لذة لمن هو في السجن ، أو تصرف أو كشف ، والقلوب الموقوفة مع ملاحظة الأجسام عابدة الأصنام ، والجسم دنيا ، والإيمان صفة القلب وهو المؤمن ، فالدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر على الحقيقة ، فالجسم سجن القلب الذي هو المؤمن ، فمتى تخلص من علاقته ،

⁸في بعض النسخ (القبض والاستثثار).

ونجا من آفاته وبوائقه ، سلم من كل الآفات ، ونجا من جميع المخافات ، وخرج إلى النور من الظلمات ، (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ).

وما كل جسم غير سجن لأهله
ولو علم الإنسان ما الموت أيقنت
وآخر آفات النفوس وفاتها
نفوس الورى أن الممات حياتها

فما أظلم هذا القالب على أربابه، وما أحجبه للأنوار ، فالواقف معه محصور في الأقطار، مسجون بين جدران المساحة والمقدار ، بين الطول والعرض والعمق ، وهي ثلاث شعب مظلمة، حاجبة حاصرة أرضية ناسوتية ظلمانية من تلقائها.

ضل النصارى في التثليث لأنهم لم يجاوزوا عالم الأجسام ولا قسم لهم من ذلك الرش المذكور نصيب مع أرباب الأقسام ، فلا جرم أنهم حُجبوا بظواهر الصور ، واغترتوا بظهور الأثر، وعموا عما بطن بما ظهر ، كما عمي من قصر نظره على الألوان والأشكال دون النور الموضح لها النظر، (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) ، وإنما كان سبب حجبهم في الآخرة قصور نظرهم في الدنيا ، (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا).

وإنما كان أضل سبيلاً لأن في الدنيا يُرجى له الإبصارُ لإمكان ذلك فيه ، وفي الآخرة قد حصل على قسمه ، ووقف على حقيقة اسمه ، (فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ) ، فحقيقة اسمه الشقاوة لا السعادة ، إذ قد سُدَّت عليه طرق الاستفادة ، ولم يبق له في أحواله نقصان ولا زيادة ، فهو بهذا الوجه أضل سبيلاً، وهو مستحق بما اتصف به، أن يكون في أضيق مكان وأقبح مقيل، فنار الحسرة والخزي تتلظى في باطنه بما حُرِمَهُ من روح المعرفة، ولما فاته من سعة العلم ولذة المشاهدة، بركونه إلى عالم الصور المجسمة المظلمة ، وعندها يستريح عند التهاب نيران الحسرة، وإن كانت لا تُظْلَم ولا تُغْنِيهِ من لهب تلك النيران، بل تحصره وتمنعه عن الانطلاق إلى سعة العلم وفضائل المعرفة بِشُعْبَهَا ، ومن هذه النيران حذر

وعليها نَبَّهَ وَأَنْذَرَ، (فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى) ،
 والتكذيب لا يكون إلا مع الحجاب، والتولي لا يكون إلا مع الغفلة ، فلو سمع المكذبون
 نداء الحق من بواطنهم يدعوهم إلى الإيمان بما كذبوا به، لآمنوا كما آمن الناس الذين
 يقولون : (رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا) ، وذلك النداء لا
 يزول من قلب كل مؤمنٍ موحدٍ بالله ورسوله، فلو عَقِلُوا حقيقته لَسَمِعُوا، لكن جَهِلُوا
 وأنكروا، فإذا كُشِفَ الغطاء يوم القيامة وأُحْرِقُوا بسعير الحسرة والندامة، علموا حقيقة
 الدرجة لذلك الصدر المحتشم في قول الله تعالى: (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ،
 فإذا تحققوا ما السماع وما الإبصار وإنه يُسْتَعْنَى فيه عن القوالب الجسمانية من الأصمخة
 والأبصار (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) ، ولا يعذرون لعدم
 السمع والإبصار في هذه الدار ، فإن اعتذروا به كان من أشر الأعذار، وكيف يَقْبَلُ منهم
 العذر ، وقد تقدم إليهم بالإعذار والإنذار، أرسل إليهم لو قبلوا، من يخرجهم من
 الظلمات إلى الأنوار ، فكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أُنْزِلُوا مِنْ رُتَبِهِمْ إلى مخاطبة
 الجاهل والكفار، وَخُصِّصَتْ هذه الأُمَّةُ بنبيهم المختار، المنبئ بمناهج الأبرار، والمحذر من
 طرق الأشرار، والمُظْهِر بواطن الأسرار، (قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ
 اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) ، من ظلمات
 الوقوف مع تقليد الآباء الضالين والمعلمين المبتدعين، حين قال الناس (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا
 عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ) ، قال الله تعالى يا محمد قل : (أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى
 مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ) ، وعلى ماذا وجدوا آباءهم؟ قوم على عبادة الأصنام المظلمة
 الجسمانية الكثيفة العارية من جميع معاني الحيوانية، وقوم على عبادة المسيح ، قد وقفوا
 مع ما أُبْدِيَ على يديه ، ونظروا بعين الربوبية إليه، فلم يعرفوا منه غير ناسوته المسخر في
 الحركة لإظهار ما يُلقَى روحُ القدسِ إلى باطنه من الوحي الإلهي والإلهام الرباني لتَظْهَرَ
 القدرةُ الإلهيةُ على يديه، وتبرز العجائبُ المعجزةُ الروحانيةُ الخارجةُ عن المألوفات العادية ،
 والمدركات بالعلل الطبيعية ، والمنفعلات بالخاصية الإلهية ، وذلك بكلمة الله له ، وهي
 الكلمة النامة ، (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا) ، والكلمة ظهر بها ما ظهر، فبالكلمة
 أُمِدَّ ، وبروح القدس أُيِّدَ ، (إِذْ أَيْدُتْكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ).

كان المسيحُ وأفعالهُ وهي كلمةُ الله التي أُلقيَتْ إلى مريم ، فهو الكلمة وبالكلمة كان ، وعلى يديه ظهرت الكلمة بقوله للشيء كن فيكون ، لأنه كان يعطي الأشياء قوة روحانية ، لا من ناسوته ، بل من تأييد الروح ، وإلقاء الأمر إلى المكونات ، فهي المسمى ، (فَيَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ) لأن السر الأول من الله وإلى الله وبالله والله ، (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي) فذاك نَفْخُ ابتداءِ بلا واسطةٍ ، وهو إعطاء أصل النوع الإنساني ، وهو الإنسان الكلي ، قوة قامت من وجوده ، وصدرت عن جنبه . بما ظهرت عليه آثار ربوبيته وشواهد لاهوتيته ، فعَلِمَ بها كل المعلومات وأظهر بها كل المُتَنَدِّعَات ، وتلك القوة التي نُفِخَتْ في آدم ، سارية في ذريته جارية بالديمومية إلى الأبد ، بها يَظْهَرُ على تصارييف الحدثان ، وتغير الحديدان ، ما يظهر من الصناعات والمخترعات والعلوم المصنفات الجزئيات والكلييات ، وذلك كله أثرُ النفخة التي أعطت آدم قوةً أطلع بها على الأرض والسماء ، وأشرف بها على كل الأشياء ، وهي مبنوثة في ذريته كلها ، باقية في عقبه ، أخذ الأنبياء عليهم السلام منها بأوفى حظٍ ونصيبٍ ، وظهرت على أيديهم العلوم والحِكْمُ والأعاجيب ، التي كانت بمجرد القوة التي هي من النفخة ، لا بعِللٍ طبيعيةٍ وفعلٍ بالخاصية ، وتلك فوائد الأزل ، وكلُّ يَظْهَرُ على يديه بقدر نصيبه من الرش والنفخة لا زائد على ذلك ، وهو القَسَمُ الأزلي ، ولكن نال كلُّ عبدٍ بقدر ما ترشح لقبوله بالتهيؤ ، (ومن لم يجعل الله له نُوراً فما له من نُورٍ) ، ولا يستكملُ الخلقُ الذي جعلَ لهم فيه نصيبٌ نصيبهم من ذلك ، حتى يصلوا إلى غايةٍ تُقاربُ الكمال ، وهي كمالهم اللائق بهم ، إلا في الدار الآخرة ، في الجنة ، حين يقولون للشيء على الإطلاق كن فيكون ، فعيسى عليه السلام نبي من جملة من قَسَمَ له أوفرُ نصيبٍ على قَدْرِهِ ، بالإضافة إلى وقته ، فكان يفعل بالإذن لا بذاته ، لأنه مفعول فيه ، فالله تعالى ينفخ من روح القدس ، وهو ينفخ في الأشياء بروح القدس ، لموضع التأييد بها ، لا من ذاته ولا من عنده ، فأبداً يُوقَفُ فعله على الإذن ، لأنه مؤيَّدٌ بالروح ، فلو اطلعوا على ما وراء ظاهر القدرة من باطن الحكمة ، لأشرق عليهم من نور الإمداد ، ونفحتهم نفحةً من نسيم التأييد ، فأخذوا حظهم من النفخة كما أخذ الحواريون عليهم السلام ، (وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ)

، فبقوا صُماً بُكْماً عُمياً ، (وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) ، (فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ).

وقوم موقوفون مع عبادة العزيز من اليهود ، محجوبون بنوعٍ مما حُجِبَ به النصارى وكل ذلك ظُلْمَةٌ، وقومٌ من اليهود يوحّدون ولا يعبدون عَزِيزاً بزعمهم ، ويشهدون بنبوّة موسى عليه السلام تقليداً وسماعاً ، لا كشفاً واستبصاراً ، وهم محجوبون بظلمات التقليد، والوقوف مع أقوال الرجال ، دون مشاهدتهم الحق بعين اليقين ، فلو أنهم شاهدوا الحق وعرفوه لعرفوا أهله، إذ الرجال يُعرفون بالحق لا الحق يُعرف بالرجال ، ولو تحققوا ما النبوة وما الرسالة وما الإيمان، وكانوا قد عرفوا موسى بعد معرفة حقيقة النبوة ، لا النبوة بعد معرفة موسى، لما أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ولأبصروه كما أبصروا موسى عليه السلام ، لأنهم عرفوا الحق فعرفوا أهله ، ولكن كانوا واقفين مع ما سمعوا من أخباره وثبتّ عندهم من ظهور القدرة على يديه، وبروز الآيات العجيبة مقارنةً لمتحدثيه، فَحُجِبُوا بِظُلُمَاتِ الصُّورِ الْمُظْلِمَةِ الْمُجَسَّمَةِ ، وهي صور المعجزات، فظنوا أن ذلك من قدرة موسى عليه السلام وقوته وحوله ، ولم يعلموا أن الذي أبدى القدرة على يدي موسى هو الذي أبداه على يدي محمد صلى الله عليه وسلم، وأن الإله واحدٌ، والدين واحدٌ ، والأنبياء واحدٌ ، ودعوتهم واحدةٌ ، والقدرة ظهرت على أيديهم ، وأشارت إليهم ، وكل من ظهرت القدرة على يديه مع التحدي فهو صاحب الوقت وني الأمة ، وهو المُحِقُّ على الجملة ، فما اختلفوا إلا من حيث الأشخاص والهيكل ، لا من حيث المعاني والحقائق ، (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) ، فلا تفرقة بينهم البتة، والعزيز المقنن واحد، أظهر القدرة على أشباح متفرقة وهيكل متباينة ، وهو واحدٌ في ذاته، غير متحيزٍ ولا منقسمٍ ولا حالٍ ولا مُتَّحِدٍ، ولكن تجلّى لعباده بأفعاله وقدرته ، وجعل إليه طرقاً، وللطرق أدلّاء، ولكل دليل آيةٌ مخصوصةٌ، ولكل طريق بابٌ مخصوصٌ وحجابٌ مضروبٌ ، (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) ، ومن ثمّ في الطُّرُقِ حدودٌ مضروبةٌ، وأعلامٌ منصوبةٌ ، لا يمكن عبورها إلا بإذنٍ، فمن كان مأذوناً

له في تجاوز الحد المضروب إلى ما وراءه فُتِحَ له البابُ وأُدْخِلَ ، والدخول لا يكون إلا مع الشرح، والشرح سُئِلَ عنه رسول الله فقال (هو نورٌ يقذفه الله في القلب)، قيل يا رسول ما علامته، فقال (التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت، قبل حلول الموت) ، وبالشرح النوراني، تنفتح أبواب القلوب، والرحمة باب من أبواب الله سبحانه، يفتحها على قلب من يشاء (مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا) الآية، والنبي رحمة ، (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ).

وكما انفتحت أبواب السماء بالرحمة التي هي المطر، انفتحت أبواب الوحي للنبي الذي هو رحمة للعالمين، وبابٌ لدخول المتقين ، فكلما ظَهَرَتْ من القدرة على ظاهر حجاب عن المُظْهَر فمن جاوزه إلى ما وراءه من الأسرار كان من المكاشفين بعلم الملكوت، الْمُتَنَزِّهِينَ فِي بَحْبُوحَةِ الْقُدُسِ، (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ).

وإلى إرث الفردوس ، دعا مصباح الوجود وسراج الكونين ، وجاء بما لم يأت به سواه من الأسرار العجيبة ، والمعاني الغريبة ، واللغة الفصيحة ، والاستعارات الصحيحة الشريفة ، والتمثيلات المطابقة والإشارات الموافقة، والرموز الغامضة، والكشوف الواضحة، والأحكام الكاملة، والسياسات الشاملة ، والآداب الجامعة، والأخلاق الطاهرة، فمن كان بصيرا نظر إلى جمال باطن الصورة المحمدية الروحانية، ورأى انبساط أنوارها على صفحات الآلاء الناسوتية الجسمانية، بالسمت والوقار والهيبه والسكينة والإطراق والتبسم والبشَر ، وشاهد هذه النعوت الباطنة والظاهرة كلها مُظْهِرَهَا لا بها، ليخرج من حيز الذين وقفوا مع ظاهر الإبداء ، وحُجِبُوا به عن المبدئ ، ويعلم أن الرسول مُتَوَلَّى في معناه وصورته وحركاته وسكناته لا منه في شيء ، وأنه محو من أثبته لقيام المتولي له به، ألا ترى كيف يقول له ، (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) ، فبرأه من فعله في فعله، لئلا يُحَال شيءٌ على حركة الناسوت المسخر، أو يضاف فعل إلى الجسم المقدر المصور، أو يثبت تصرف للمتولي المُدَبِّر ، فإذا نظر الناظر إليه بعين التصريف لا بعين التصرف، وعلم حقيقة البادي والمبدئ عليه، وأنزل كل شيء في منزلته، وضح له الحق الصريح ، من غير حممة ولا تلويح، وميز السقيم من الصحيح، واهتدى بهدي الله لا

بهدي البشر، وكان من المطلعين على سر القدر ، المنزهين عن التقليد الذي هو مظنة الغرر، (قَالَ أَوْلَوْ جِتُّكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ) ، من التمثل بظواهر الأثر ، والامتناع من العيان بالخبر، وذاك هو نقلك بالحكمة والموعظة الحسنة إلى معرفة الحق، ليعرفوا به أهله، ويعلموا أن المقلد لما يُألف بغير هدى من الله، تابع هواه وجهله، وهدى الله عز وجل هو ما كشف لك عن حقائق الأمور، وهو الذي ينكتب بقلم العقل على ألواح الصدور ، (كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ) ، فمن أُيدَ بالروح عرف المؤيد بالروح ، وعلم أن عيسى أُيدَ بروح القدس، وأن محمداً أُنزلَ عليه القرآن رُوحاً، من عَلِمَ بهذا وذاقه كان من المؤيدين الذين يؤمنون بالكتب كلها وفيهم قيل : (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَى وليس بعده إلا اتباع الأهواء، (وَلَّيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) اللدني والكشف الإلهي، (إِنَّكَ إِذَا لِنَ الظَّالِمِينَ) ، الذين أنزلوا النفس عن رُتْبَةِ الْكُشْفِ، إلى رُتْبَةِ مُوَافَقَةِ أرباب الأهواء، الذين هم في ظلمات آرائهم الملطخة بأوزار الطبيعة، المحجوبة في ظلمات الحسّ ، ومن كثر سواد قوم فهو منهم وحشيرة معهم ، ومن وافق قوما كان منهم، فماذا بعد الحق إلا الضلال، وبعد الكشف إلا الحجاب ، (فَأَعْرِضْ عَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) ، (ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ).

وقد علمت أن الحياة الدنيا مُشْغَلَةٌ عن الحياة القصوى، وأن المعرض عن الاستعداد للحياة الحقيقية نادم بعد مفارقة الحياة الدنيا، مُحَرَّق بنار جهنم، فيتذكر حين لا تنفعه الذكرى، (يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي، فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ، وَلَا يُوثِقُ وَثْقَهُ أَحَدًا) ، حتى يعلم أن الدار الآخرة هي الحيوان ، فلو كان يعلم لكانت الدار الآخرة دار حياته، إذ هي حياة العلماء ولهذا اشترط (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) فتقدير الكلام لو كانوا يعلمون لكانت الآخرة دار الحيوان في حقهم، ولكن جهلهم حجبهم ، وإلى ظلمات الصور أدخلهم، وفي سجن الجسم المحصور بثلاثة أبعاد سجنهم، فإليه يُرَدُّ وفيه يُعَذَّبُ، فلا بُدَّ مِنْ حَشْرِهَا ، وذلك هو الذي ذكره الشارع من حشر الأجساد وَرَدَّ الأرواح إليها عند من وَفَّقَهُ اللَّهُ سبحانه إلى الإيمان بذلك، وشرح صدره لقبول تصديقه بإعلامه أن ما

جاز ابتدأه لا يستحيل إعادته، فالْمُنْتَزَعُ أهون في الشاهد من الْمُخْتَرَع (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ) ولا يُحْجَبُ عن مَعْرِفَةِ اللَّهِ سبحانه ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر إلا من استحوذ عليه شيطانه وهواه ، فأضله عن الحق وأغواه، حتى مقتته الحق سبحانه وأخزاه، وجعل الخلود في النار جزاءه ، (وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) ، (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ)، (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) فأصبحوا صُمًّا بُكْمًا عُمِيًّا فهم لا يعلمون، وكيف يتدبر القرآن من لا يدري حقيقة القرآن، ولا إنزال القرآن، ولا مُنْزَلَ القرآن ، ولا المُنْزَلُ عليه القرآن.

والقرآن هو البحر المحيط ، وعلى سواحله العود والعنبر ، وجميع أصناف الطيب ، وأنواع المعادن تلقى في وسطه في الجزائر ، وله ظهر وبطن وحد ومطلع ، وهذه أربعة أركان بني عليها فهم القرآن ، فالظاهر هو التنزيل (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) ، والباطن هو التأويل كما قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ، والحد هو الذي يتوقف عنده ، وهو الذي يفصل بين التشبيه والتعطيل ، والمطلع هو موضع إشراف المكاشفين على حقائق ما أريد به بإلهام الملك وفطنة الروح ، ولا يشهد معانيه ولا يطلع على حقائقه إلا من كان له كشف ومشاهدة وقلب سالم مُسَلِّمٌ وَأَسْلَمَ (قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) ، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ).

فأول المراتب معرفة التنزيل، والثاني معرفة التأويل. والتنزيل ينبغي أن يكون أمرا كما جاء ، لا يُحَرَّفُ ولا يُبَدَّلُ ، لأنه أساس التأويل، والتأويل مُنْزَلٌ على التنزيل ، لا يخرج به عن مطابقة التنزيل، فلا يعدل بمعانيه إلى التعطيل، ولا يحاد به عن موافقة طريق السنة الواردة عن سيد المرسلين.

والرتبة الثالثة وهي الوسطى ، وهي الحد المانع الجامع يجمع بين ظاهر التنزيل وباطن التأويل ، ويمنع من التشبيه والتعطيل.

والرتبة الرابعة هي الاطلاع عليه بالنور المبين الذي لا يوجد إلا عند المتقين ، وهو تعليم العزيز الرحيم ، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنَ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ) (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) فالله سبحانه معلم الفهم،

والرسول معلم الحكم والحكمة ، ويطلع على معالم الفهم، ويوصل إلى مقام الاطلاع بإرشاده، إذ هو واسطة بين العباد وبين ربهم ، (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ).

فالرسول هادي بالواسطة لا بالتأصيل ، (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) والله تعالى هو الهادي (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) وكذلك هو معلم الدلالة ، والله سبحانه معلم الأصالة، (وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)، (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) ، (وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) ، (خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) فرَّق بين العلم والخلق، فدل على أن علم الله سبحانه وهو صفته غير مخلوقة ، كتبه بقلم العقل على ألواح الصدور ، (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ).

فالعقل مُسْتَمِدٌّ من العلم الأزلي وهو القرآن الذي أُلقي إلى محمد، حصل للرسول بتعليم جبريل، وتعليم جبريل هو تعليم الله عز وجل ، وتعليم الرسول صلى الله عليه وسلم هو تعليم جبريل ، فإذا كان تعليم الرسول هو تعليم الله سبحانه، فالله سبحانه يعلم الملائكة بلا واسطة، والملائكة وسائط بين الرسل وبين الله سبحانه، والرسل وسائط بيننا وبين الملائكة، والله سبحانه معلم الكل ، وهادٍ لكل ، والمُبَيِّنُ لكل ، وإن كان الرسول مُبَيِّنًا ، فهو في التبيين كما هو في البداية شَبَّحٌ⁹ أُقِيمَ لتعريف الخلق ما ندبهم إليه الحق، وله ولاية الظاهر بالحكم ، والله سبحانه ولاية الباطن بالتوكلي ، (لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ).

فما من شيء أضيف إلى الرسول ظاهرا في حال من الأحوال لإثبات الأحكام ، إلا وقد لقي باطنا لإثبات التوحيد ، حتى لا يقف أحدٌ مع ظاهر ما أُبدي إلى محمد صلى الله عليه وسلم دون النظر إلى الإبداء ومعرفة جريانه على ظاهر محمد صلى الله عليه وسلم من المُبْدِي عليه ، وهو الذي يُرَدُّ الأمرُ في الأفراد والإصدار إليه ، (وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ) ، فهو محل التلقي لا هو المُلقِي ولا إليه الإلقاء ، (وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ).

وليت شعري إيش الكتاب من الكتابة سوى أنه متصف من حيث كان محلا قابلا لها، لا من حيث أنها لم تنزل فيه ولا هي صفته ، وإنما هي صفة الكاتب بدت في الكتابة

⁹ في بعض النسخ (شيخ).

لا من الكتاب، وإليه تعود في الوصف لا إلى الكتاب، فهي صفة الكاتب لا صفة المكتوب، فذلك قلبُ محمد صلى الله عليه وسلم كتابٌ كتب الله فيه القرآن كما يكتب الكاتب في اللوح ، وإن كانت الكتابة في الشاهد تنكتب بواسطة القلم في اللوح، والقرآن انكتب بواسطة جبريل في لوح قلب محمد ، وكان بمنزلة القلم والمكتوب قديم وهو الكلام الأزلي ، والكاتب والمكتوب فيه مخلوقان كاللوح والقلم ، فإن قلب محمد صلى الله عليه وسلم مخلوق وجبريل عليه السلام مخلوق ، وما كتبه الله عز وجل بواسطة جبريل قديم ، فالقرآن إذا قديمٌ وهو علمُ الله ، ولا يَبْعُدُ أن يُكْتَبَ في قلوب العباد على سبيل الحفظ والعلم ، لا على سبيل الحلول والانتقال ، لأن الله سبحانه هو الحافظ له لا العبد ، (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ويُروى أنه لما خلق الله سبحانه وتعالى القلم قال له أكتب ، قال ما أكتب ، قال أكتب علمي في خلقي ، وعلمُ الله مكتوبٌ في خلقه ، والإيمان مكتوبٌ ، (كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ) (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) ولا تسأل عن كيفية هذه الكتابة، وكيف ارتسامها في الصدور ، فإن ذلك يستدعي فتح باب كبير من أبواب الملكوت ، فإن الكتابة تستدعي لوحاً ومِدَاداً وقلماً وأصابع ويداً وقدرة وإرادةً وعلماً وكاتباً، وذلك من علوم المكاشفة ، إذ علم ذلك نهاية الأولياء ومبادئ الأنبياء عليهم السلام ، فإن النبي أول ما كوشف بسر القلم حين رأى جبريل في صورته أول مرة ، وغطه وقال اقرأ ، فقال ما أنا بقارئ ، الحديث المعروف ، أول ما كوشف من الوحي بمعرفة الكتابة والقلم والتعليم وخلق الإنسان ، وهذا مَجْمَعُ العلم وخزانة الأسرار ، وهذا أصلُ لما وراءه ، فقال اقرأ قال وما اقرأ قال (إِقرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ علم الإنسان ما لم يعلم) فإن كنت من أرباب البصائر ، ففي متفرق كلامنا ما يدل على معانيه ، فإن الكلام لم يخل من إشارة إليه وتنبيه عليه ، ومَعْرِفَتُهُ لا تحتلُ التصريح ، فإنَّ خَوْضَ غَمَرَاتِ أسرارهِ خطيرٌ ، وفتحُ بابِ الأسرارِ عزيزٌ ، وإفهامُ الخلقِ ما لم يألفوا مسالكة من الأسرار عسيرٌ ، وبحرُهُ عميقٌ يَعْرِقُ فيه أكثرُ الجماهير ، إلا من تولى الله عز وجل أمره ، وهو يتولى الصالحين ، والهداية إلى الله سبحانه كما علمت، فلا تطلبها إلا من بابها ، (إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى) وإن كنت من المحجوبين بظلمات

الجسمية ، المقيدون بقيود العادة، والموقوفين مع تقليد الآباء والمعلمين الذين لم يستضيئوا بنور اليقين ، فلا تعرف قط لوحا إلا من خشب ، ولا قلما إلا من قصب ، ولا يدا إلا من لحم وعصب ، ولا كاتباً إلا جسماً مصوراً ، فلا تطمع في فهم شيء مما أشرنا إليه ، فإنك لست من أهله إذ قد سَلَكَتَ مذهبَ المحجوبين ، الذين غلبت عليهم ظلمة الأجسام ، فلم يعرفوا غير الأجسام وتوابع الأجسام ، ودخلت تحت ظل الجسم ذي الأبعاد الثلاثة وهي الطول والعرض والسُمْك ، فهي ثلاثُ شعبٍ مظلمة ، لأنك حصرت جميع المعلومات تحت الحس ، وأنكرت ما وراء المُشَاهِدِ مما لا يدخل تحت الكمية والمقدار ، ولا ينقسم بالمساحات والأقطار ، وهو العالم المتسع الذي الأجسام منه بمنزلة الظل من الشخص ، فهو العَالَمُ الشريفُ الذي من تلقائه يتنزل الأمرُ والقدرُ.

فانتبه أيها المغرور بظواهر الصور ، فإنك من الله سبحانه على غرر ، وما انطلقت إليه ووليت نحوه من ظاهر التشبيه والتجسيم ، يوم تستظل بمنته من عذابه سبحانه إذا سألك عن معتقدك ، لا يُظِلُّكَ من عذابه ، ولا يُنْجِيكَ من لهب ناره ، إذ قد عطلت ملكوت الله سبحانه ، واستعجزت قدرة الله عزَّ وجلَّ، وَجَهَلْتَ حكمةَ الله ، ولم تتدبر آيات الله بل اتخذتها هُزُوءاً ، ولم تؤمن بالغيب بل كذبت بما لم تحط بعلمه ، وأوقفت حقائق الأشياء على علمك الناقص وتخليك الفاسد ، (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)، وأنت محجوب بالأجسام عن مُبدِعِ الأجسام ، كما حجب الذين أنكروا عند رؤية الأجسام وجودَ شيءٍ زائدٍ على الأجسام به ظهرت الأجسامُ وتجلت الألوانُ والأشكالُ ، لأنهم لم يحيطوا بعلم النور ، ولا تحققوا أنه اختفى في الأجسام لشدة ظهوره فيها ، واحتجب عن أعين الناظرين لإشراق أنواره عليها، ولكن أيها المسكين أفلا ينظرون إلى التفرقة بين النور المظهر والجسم المظهر عند مفارقة النور للمُبَصَّرَاتِ، حين بقيت مظلمة لا تظهر ، فلا أمكنهم الجحود ولا وسعهم التكذيبُ ، كذلك أنت.

إيش تقول في الروح، أهى الجسم بعينه ؟ أو شيء يزيد على الجسم بها تدبيره وتصريفه ؟ وما أظن أنه يسعك إنكار كونها غير الجسم ، وإنها مدبرة الجسم ، وغير الجسم لا يكون جسماً، فإن قلت هي جسمٌ ألطفٌ من هذا مستودعةٌ في باطن هذا

الجسم، جعلت الأجسام تتداخل وقلت بالحلل ، وأبطلت فائدة التفرقة بين الروح والجسم ، وكذبت الخبر الصحيح ، (إن الله خلق الأرواح قبل الأجسام بألفي عام) ، وأي فائدة من هذا الحديث إذا كانت الأرواح أجساماً ، ويكون إثبات ما تدعيه إلى استحالة الحديث وتناقض قول الصادق ، فكأنه يقول خلق الله الأجسام قبل خلقها بألفي عام ، والشيء الذي يُخلَق قبل خلقه لا يُعَقَل ، لأن الأجسام إن كانت تُسمَّى أرواحاً ، فمعنى الحديث هذا: خلق الأجسام قبل الأجسام ، وهو خلق الشيء قبل ذاته ، وهذا خرق من قائله وفساد من مُصَوِّره ، فلا بد أن يكون للخبر معنى يُدرك فائدة تُعَقَل ، والحاصل منه التفرقة بين الأرواح والأجسام ، فالروح إذاً لا جسم بشهادة الشرع ، وإذا كان الجسم هو الملتئم من جوهريْن فصاعداً ، وهي غير الجسم ، فمن الأخرى أن تكون غير جوهري ، وإذا لم تكن جوهراً ولا جسماً ، استحال أيضاً أن تكون عرضاً ، لما كانت الأعراض لا تُثَبَّت ولا تُوجَد إلا مع الأجسام والجواهر ، وقد بطل حكم الجسم والجواهر والعرض ، فبطل التركيب والمماساة والمجاورة والاتصال والانفصال ، فإن أطلق عليها أنها مواصلة للبدن أو مفاصلة بالموت ، فإطلاق صحيح على الوجه الذي يليق به ، وهو مواصلة التدبير ومفارقته بتعاصي الآلات بالموت من قبول التدبير ، وإذا انتفى عنها الجوهرية والجسمية والعرضية ، انتفت عنها بالضرورة العقلية جميع صفات الأجسام والجواهر والأعراض ، من فوق وتحت وأمام ووراء وحذاء ويمين ويسار وفي وإلى وعلى وعند والحركة والسكون والظهور والكمون والمساحة والمقدار والكيف والأين ، وكل ما يجري على الجواهر والأجسام من الأوصاف ، فما أطلق عليها بعد ذلك لضرورة التعريف افتقر في فهمه إلى التأويل والتصريف ، فقد لزمك أيها المخدوع بالغرور ، إثبات موجود حقيقي الوجود ، خارجاً في وجوده عن كل ما يدرك في الشاهد من الأجسام والجواهر والأعراض ، فكيف يمكنك بعد هذا إنكار شيء زائد على الأجسام ، فإن تعاميت أنت بعد الإبصار ، ولزمت المكابرة والإنكار ، وجمدت إلى الاستنكاف والاستكبار ، وتبعْتَ بجمودك في التقليد الهوى ، وركبت ظهر اللجاج والاصرار ، فقد ذهب في حقك الإعذار ، وانقطعت حججتك بالإعذار والإنذار ، فيوشك أن تكون من أهل النار ، وعند ارتفاع نور النفس عن ظاهر الجسم ، وعدم تدبيرها له بالموت ، يأتيك تأويل ما كذبت به ، وقد أوضحت لك ،

فتقول حين تشاهد ما لم تسمح بتسليمه ، بل تثبته مطرحا له بركونك إلى تقليد الغافلين ومتابعة الجاهلين، (قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ) كما أخبر الله سبحانه عنك وعن أمثالك بقوله (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدِّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ).

وما أخوفني عليك أن تكون ممن خسر نفسه، وإنما يتبين لك الخسار عند الانتباه من نومك، فإن الناس نيامٌ فإذا ماتوا انتبهوا ، وعند الانتباه يظهر تأويل الرؤيا ، فيؤول لك ما لزمت ظاهره في عقلك بأحسن تأويل ، ويبدو لك ضد ما احتسبت، ويضل عنك ما إليه ذهبت، (وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ).

ستبدي لك الأيامُ ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ويتلو عليك الموت (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) وذلك حين تأتي سكرة الموت بالحق الذي كنت منه تحيد وتميل عنه إلى التقليد. وينفخ في الصور، وهو قرن فيه ثقب بعدد أنفاس الخلائق، فيصعقُ العالمون من صوته، كل نفس لها ثقب فيه تصعق إن لم تكن صُعِقَتْ ، والنافخ فيه إسرافيل، ويقوم الروح صفا، والملائكة صفا ، ويأتي الله في ظلل من الغمام والملائكة ، وهذا كله ما ينكشف لك سرُّه ، ويبدو لك تأويله ، إذ قد وُعدت بكشف تأويله لك ، ولا جائز أن ينكشف لمثلك دون أن تأتي سكرة الموت ، وهو الذي كنت منه تحيد ، ويُنفخ في الصور لصعق الخلق ، ثم ينفخ فيه أخرى لقيامهم ينظرون ماذا أراد منهم الحق ، ذلك يوم يجمع الكل ، فتُجمَعُ أجزاء الخلق ويُنشئهم الله عز وجل نشأة أخرى كما وعد تعالى، ويكون الحشر كله على قدم آدم وعقبه إذ هو أبو البشر ، وعلى صورته وشكله يجمعون ويحشرون ، وكذلك إلى أبيهم وأمههم يجمعون، (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا).

فهذان أصلان كليان للعالم الإنساني، أبا وأما، آدم وحواء، (وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً)، جزءاً أولادهم، فالإنس إلى آدم وحواء مجتمعون، وإليهما ينتسبون، وهي الطينة البشرية التي عجنها بيده وخمرها وسواها ونفخ فيها الروح، وأسجد لها الملائكة صفا صفا، (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ)، وآدم مقابلهم، لأنه نفخ فيه من الروح، التي هي من أمر الله، والنفخ إحداث وجود آدم، لم يكن بالروح محدثا، وليس ثمّ قديم إلا الله وحده، ولا أقول وصفاته، لأن صفاته ليست غيره فأفصلها منه، ولا هي هو فأفردا بالذكر دون جعلها له، فهي له لا هي هو ولا هي غيره، وقد سبق القول فيما هذا سبيله، فحينئذ يَجْمَعُ الصفوف، الملائكة والروح صف إذا جمعت جعلها له، والجن صف وهو من مارج من نار، والشياطين صف خارج عن الجن والملائكة فيما بينهم، يقدمهم عزازيل وهو إبليس آدم وضده وقرينه وهو أكبر الشياطين، لأن عزازيل في جنوده بمنزلة آدم في ذريته، فلما كان آدم أبو البشر هو أصلا لهم وكلما ظهر عن آدم من ولد ذكرا أو أنثى، أظهر عزازيل له قرينا من أبنائه، فعدد بني آدم والمتولدة بعدد الأملاك الذين يكتبون أعمال العباد ملك اليمين وملك اليسار، ووراء هذا غور عميق ينكشف لك يوم يأتي تأويله، فالويل لمن دامت غفلته إلى ذلك الوقت، وطوبى لمن انتبه، لأنه لا يُسْتَنْبَهُ إِلَّا بِمَوْتٍ هو إعراض النفس عن الاشتغال بالصور والأجسام، بالإقبال على الله سبحانه بالتولي نحو وجهه، هو أينما وليت، فكل من ولي إليه فثم وجهه، (ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)، لا وجه أبنائهم، فكل مُعْرِضٍ عن الله مُشْتَغَلٌ بغيره، فإلى وجه الحادث نظر، وهي ظلمات بعضها فوق بعض، فوجهه منصرف عن الله سبحانه، ومعوج بقدر إعراضه عنه، فإن كان كلمح البصر كان كالحور في العين، وإن كان بأكثر البصر كان كالحول في العين، وإن كان بلفتة يسيرة كان كالعور، وإن كان إعراضا وإدبارا كان بمنزلة الموكلي المدبر، وذلك الذي يؤتى كتابه من وراء ظهره، وهم الذين نسوا الله فنسيهم فأنساهم أنفسهم، فمن أقبل على الله تعالى أعرض عن نفسه، ومن أعرض عن نفسه فقد حصل عنده معنى الموت، وهو ترك التفات النفس إلى المحسوسات والصور ونظرها إلى عالم الملكوت، فسلوك صراط الله سبحانه والوفاء بعهده في الرجوع إليه والاعتراف بالربوبية والقيام بحقوقه من مفارقة

الأخلاق المذمومة ، والتحلي بالأخلاق الحمودة ، فإذا اتصف بها صح له الرجوع إلى الله سبحانه ، ومن رجع إلى الله سبحانه أرضاه ورضي عنه ، (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً). ومن رجع إلى الله سبحانه في الدنيا فهو راجع إليه في العقي ، رجوع رضا لا رجوع كره.

كذلك الموت موتان ، موت طبيعي وهو نزع النفس من الجسم كرها لتشبثها به عشقا له وسكونا إليه ، فهي تُنْتَزَعُ مُكْرَهَةً ، فلا جَرَمَ أنها لا تخرج إلا بالخطا طيف والكلاليب حتى تنقطع أوصالها وتزول علاقتها معه ، وهذه مorte طبيعية ، وموت إرادي وهو ترك النفس لمساكنة الجسم ، والتنزه عن عشقه والاستغراق في حبه ، واستعماله في مصالح الآخرة ، فهذه مorte إرادية لا يموت صاحبها بعدها أبداً ، لأن الخوف من الموت وألمه بقدر الخبوبات ، وعذابه بقدر تعلق النفس بالشهوات وعكوفها على اللذات وعشقها الغالب الذي تستعين به على إدراك المطلوبات وتقضي به أوطار الدنياويات ، فإذا زال مُوجِبُ الألم سقطَ الألم ولم يكن له أثرٌ ، وإذا لم يكن ألمٌ لم يكن خوفٌ ، وإذا لم يكن خوفٌ كان أمنٌ ، وإذا كان أمنٌ كان استبشاراً وبشرى ، وإذا كان استبشاراً وبشرى ، أحب العبد لقاء الله عز وجل.

(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) ، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، فهذا شاهد لما تقدم عليه ، ومن شاهد ما أُعِدَّ له فهو شهيدٌ ، والشهيد ليس بميتٍ ، والشهادةُ بُجْهَادِ النفس إلى أن يُمَيِّتَهَا عن حظوظها ، أكبرُ رتبة عند الله سبحانه وتعالى من الشهادة المورثة لقتال الكفار وحطم السيوف ، رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، وذلك الجهادُ خطرٌ قلٌّ من يَسْلَمَ له فيه النية ، فهو على ظنٍ غير متيقنٍ من الشهادة ، وهذا إذا وصل إلى هذه الرتبة على يقين ، والموت الإرادي إثابة ، والموت الطبيعي عقوبة ، ومن مات مorte إراديةً انتبه قبل الموت الطبيعي ، ومن انتبه أبصر بغير تأويل ، الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ، ومن أبصر قال لو كُشِفَ الغطاء ما ازددت يقيناً ، فاطلبوا اليقين من الله سبحانه بإماتة نفوسكم وإحياء قلوبكم ، لترقوا الفردوس الأكبر والمُلْكُ العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم اجعلنا ممن ركبت على جوارحهم من المراقبة غلاظ القيود، وأقمت على سرائرهم من المشاهدة دقائق الشهود ، فهجم عليهم أنسُ الرقيب مع القيام والقعود ، فَكَسَّوْا رؤوسهم مع الخجل وجباههم للسجود ، وفرشوا لفرط ذلهم على بابك نواعم الخدود ، فأعطيتهم برحمتك غاية المقصود ، صل على محمد وعلى آل محمد وسلم.

اللهم ارزقنا طول الصحبة ، ودوام الخدمة ، وحفظ الحُرمة ، ولزوم المُراقبة ، وأنس الطاعة، وحلاوة المناجاة ، ولذة المغفرة ، وصدق الجنان ، وحقيقة التوكل ، وصفاء الود ، ووفاء العهد ، واعتقاد الوصل ، وتجنب الزلل ، وبلوغ الأمل ، وحسن الخاتمة بصالح العمل، صل على محمد خير البشر وسلم.

اللهم يا من أجرى محبته في مجاري الدم من المشتاقين ، وقهر سطوات الشك بحسن اليقين ، أثبتنا اللهم في ديوان الصديقين ، واسلك بنا سبل أولي العزم من المرسلين ، حتى تُصَلِّحَ بواطننا بلطائف المؤانسة ، ونفوز بالغنائم من تُحَفِّ الجالسة ، وألبسنا اللهم جلباب الورع الجسيم ، وأعذنا من البدع والضلال الأليم ، فقد سألناك بصدق الحاجة والاعتذار، والإقلاع عن الخطايا بالاستغفار، أمرتنا اللهم بالسؤال ففاجأتك قلوبنا بالافتقار ، ونظرت إليك مُقَلُّ الأسرار بسلطان الاقتدار ، وجنبنا اللهم الإصرار من فنون الأشرار ، حتى تسلك بنا سبل أولي العزم من الأخيار ، صل على محمد وعلى آل محمد الأطهار وسلم.

اللهم يا من حمل أوليائه على النُجْبِ السُّبَّاق ، ورفعهم بأجنحة الزفير والاشتياق، وأجلسهم على بساط الرهبة وحُسن الأخلاق ، وأهْطَلَ على لِمَمِهِمْ سُحْبَ الآماق ، وشعشع أنوار شمس المعرفة في قلوبهم كبرق الشمس عند الإشراق ، وكشف عن عيوتهم حنادس الظلم ، وأجلسهم بين يديه بتفريد القلوب واتصال العزم والطمأنينة وسمو الهمم ، صل على محمد وعلى آل محمد سادات البشر وسلم .

اللهم أرخص علينا ما يقربنا إليك ، وأغل علينا ما يباعدنا عنك ، وأغننا بالافتقار إليك ، ولا تفقرنا بالاستغناء عنك، بكرمك أخلص أعمالنا، وبإرادتك اجعلنا نتوكل عليك، وبمعونتك اجعلنا نستعين بك ، اللهم بجاه أهل الجاه ، وبمحل أصحاب المحل ، وبِحُرْمَةِ أصحاب الحُرْمَةِ ، وبمن قلت في حقه ألم نشرح لك صدرك ، اشرح اللهم صدورنا بالهداية والإيمان كما شرحت صدره، ويسر أمورنا كما يسرت أمره، يسر لنا من طاعتك طريقا سهلا ، ولا تؤاخذنا على الغرة والغفلة ، استعملنا في أيام المهلة بما يقربنا إليك ويُرضيك منا، صل على محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم.

اللهم أطلق ألسنتنا بذكرك ، وقيد قلوبنا عما سواك ، وَرَوِّحْ أرواحنا بنسيم قربك ، واملاً أسرارنا بمحبتك، واطو ضمائرنا بنية الخير للعباد ، وألف أنفسنا بعلمك ، واملاً صدورنا بتعظيمك ، وحيز كليتنا إلى جنابك ، وحسن أسرارنا معك ، واجعلنا ممن يأخذ ما صفا ويدع الكدر ، ويعرف قدر العافية ويشكر عليها ، ويرضى بك كفيلا لتكون له وكيلا، ووفقنا لتعظيم عظمتك ، وارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم ، تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا أنت سبحانك ، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك.

اللهم إني أسألك بأحدية ذاتك، ووحدانية أسمائك، وفردانية صفاتك ، أن تؤتينا سطوة من جلالك ، وبسطة من جمالك ، ونشطة من كمالك ، حتى يتسع فيك وجودنا ، وتجتمع عليك شهودنا ، ونطلع على شواهدنا في مشهودنا ، أطلع اللهم في ليل كوننا شمس معرفتك، ونور أفق عيننا ببيان حكمتك ، وزين سماء زينتنا بنجوم محبتك، واستهلك أفعالنا في فعلك ، واستغرق تقصيرنا في طولك ، واستمحص إرادتنا في إرادتك، واجعلنا اللهم لك عبيدا في كل مقام ، قائمين بعبوديتك ، متفرغين لألوهيتك ، مشغولين بربوبيتك ، لا نخشى فيك ملاما ، ولا ندع عليك غراما ، رضا اللهم بما ترضى ، والطف بنا فيما نزل من القضا، واجعلنا لما ينزل من الرحمة من سمائك أرضا ، وأفننا في محبتك

كلا وبعضا ، صرح اللهم فيك مرامنا ، ولا تجعل في غيرك اهتمامنا ، وأذهب من الشر ما خلفنا وأماننا ، نسألك اللهم بمكنون هذه السرائر ، يا من ليس إلا هو يخطر في الضمائر ، صل على سيد السادات ، ومراد المرادات ، حبيبك المكرم ، ونبيك المعظم ، النبي الأمي والرسول العربي ، وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم إني أسألك بالألف المعطوف ، وبالنقطة التي هي مُبتدأ الحروف ، بباء البهاء ، بتاء التأليف ، بثناء الثناء ، بجيم الجلالة ، بحاء الحياة ، بخاء الخوف ، بدال الدلالة ، بذال الذكر ، براء الربوبية ، بزاي الزلفى ، بسين السناء ، بشين الشكر ، بصاد الصفاء ، بضاد الضمير ، بطاء الطاعة ، بطاء الظلمة ، بعين العناية ، بغين الغني ، بفاء الوفاء ، بقاف القدرة ، بكاف الكفاية ، بلام اللطف ، بميم الأمر ، بنون النهي ، بهاء الألوهية ، بواو الولاء ، بياء اليقين ، بلام ألف لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمدا عبدك ورسولك ، الفاشي في الخلق حمدك ، الباسط بالجوود يدك ، لا تضاد في حكمك ، ولا تنازع في سلطانك وملكك وأمرك ، تملك من الأنام ما تشاء ، ولا يملكون منك إلا ما تريد.

اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بحاجه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، وأسألك اللهم بأسمائك الحسنى ، وباسمك العظيم الأعظم ، الذي دعوتك به ، أن تصلى على النبي الأمي محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين والأولياء الصالحين ، وكافة العلماء العاملين والعالمين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.